أحكى لطفلك

قصص الأنبياء

مصطفى فتحى

29

دار الجسام للنشر والتوزيع

إهـــــــــداء ٢٠٠٨
دار الكتب و الوثائق القومية
القاهرة

أحكي لطفلك

قصص الأنبياء

مصطفى فتحي

دار الحسام للنشر والتوزيع

فتحى، مصطفى
احكى لطفلك قصص الانبياء/ مصطفى فتحى. - ط 1 0 .
القاهرة: دار الحسام للنشر والتوزيع 2008
112 ص ؛ 24 سم.-"احكى لطفلك"
رقم الإيداع 2007/7628
تدمك 1 -071 -405- 977
1- العنوان
229و5

دار الحسام للنشر والتوزيع
التوزيع :- 355ميدان النافورة - المقطم – القاهرة.
هاتف وفاكس :- 25058084-25075418
الموقع علي الانترنت: WWW.DARALHOUSSAM.COM
البريد الإليكتروني : INFO@ DARALHOUSSAM.COM

الطبعة الاولى
1429هـ - 2008م
جميع الحقوق محفوظة

بسم الله الرحمن الرحيم

{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ} {سورة غافر: 78}

آدم عليه السلام

قال تعالى: (وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ. فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ) {سورة البقرة:الآية 35-36} .

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الرسل أجمعين، أما بعد أحبائى..

أعلموا حفظكم الله، أن الله خلق الأرض فى يومين، وجعل فيها رواسى من فوقها (أى جبال)، وبارك فيها، وقدر فيها أقواتها (أى أرزاق أهلها ومعايشهم) فى أربعة أيام سواء للسائلين، ثم استوى إلى السماء وهى دخان، فقال لها وللأرض: أئتيا طوعاً أو كرهاً، قالتا: أتينا طائعين.

ثم استوى على العرش، وسخر الشمس والقمر كلاً يجرى لأجل مسمى، ثم خلق ملائكته الذين يسبحون بحمده، ويقدسون اسمه، ويخلصون فى عبادته، ثم شاءت إرادته، واقتضت حكمته، أن يخلق آدم وذريته، ليسكنوا الأرض ويعمروها، فأنبأ ملائكته أنه سينشئ خلقاً جديداً، يسعون فى الأرض، ويمشون فى مناكبها، وينتشر نسلهم فى أرجائها، فيأكلون من نبتها، ويستخرجون الخيرات من باطنها، ويخلف بعضهم بعضاً فيها.

أما الملائكة فهم خلق اصطفاهم لعبادته، وأسبغ عليهم نعمته، وحباهم بفضله، ووفقهم إلى رضاه، وهداهم إلى طاعته، فساءهم أن يخلق الله خلقنا غيرهم، وخافوا أن يكون ذلك لتقصير وقع منهم، أو لمخالفة وقعت من أحدهم؛ فأسرعوا إلى تبرئة أنفسهم وقالوا: كيف يا رب تخلق غيرنا، ونحن دائمون على التسبيح بحمدك، وتقديس اسمك؟! على أن هؤلاء الذين تستخلفهم فى الأرض لابد سيختلفوا على ما فيها من منافع، ويتجاذبوا ما بها من خيرات، فيفسدوا فيها، ويسفكوا الدماء، ويزهقوا الأرواح الطاهرة البريئة.

قالوا ذلك رغبة فيما يزيل شبهتهم وينزع الوساوس من صدورهم، فأجابهم الله بما أطمأنت له قلوبهم.

قال ﷻ: (إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ) {سورة البقرة: 30}.

(فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ) {سورة الحجر: 29}.

وسوى الله أبانا آدم من طين، ثم نفخ فيه من روحه، فسرت فيه نسمة الحياة، وصار بشراً سوياً.

ثم أمر الله الملائكة أن يسجدوا لآدم، فاستجابوا خاضعين، وأقبلوا عليه معظمين، إلا إبليس؛ فقد خالف أمر ربه، وانحاز إلى معصيته، ورفض وأستكبر، وكان من الكافرين.

فسأل الله ﷻ إبليس: (يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ) {سورة ص:الآية 75}.

فقال إبليس مستكبراً: أنا خير منه، خلقتنى من نار وخلقته من طين.

فجازاه الله على عصيانه، وعاقبه على مخالفته، وناداه قائلاً له: (قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ. وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ) {سورة ص: 77-78}.

وسأل إبليس ربه أن يمهله إلى يوم الدين، وأن يمد له فى الحياة حتى يوم البعث.

فأجاب الله سؤاله، وقال له: (فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ. إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ) {سورة ص: 80-81}.

ولما استجيب سؤاله، وتحققت رغبته، لم يشكر لله فضله، بل قابل النعمة بالعصيان، والفضل بالجحود والنكران، وقال (فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ) {سورة الأعراف: 16} لأغويهم وأضلهم، (ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ) {سورة الأعراف: 17}.

طرد الله إبليس من رحمته، وأمهله، وقال له: أمض لسبيلك الذى اخترته، وسر فى طريق الشر الذى أردته، (وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ) {سورة الإسراء: 64}. وعدهم الوعود الكاذبة، ولكنى لن أخلى بينك وبين من صحت عقيدته وقويت عزيمته من عبادى المخلصين، ولن أجعل لك عليهم سلطاناً، أما ما اعتزمته من إغواء الناس وفتنتهم، فحسابك عليه عسير، ولأملئن جهنم منك ومن أتباعك.

وعلم الله آدم أسماء الكائنات كلها، ثم عرض هذه الكائنات على الملائكة وقال لهم: (أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ) {سورة البقرة: 31}. ليظهر عجزهم وقصور علمهم، ويعرفوا أن حكمة الله قد اقتضت أن يكون آدم أعلم منهم، بما أفاض الله عليه من نوره.

(قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ) {سورة البقرة: 32}، وأمر الله آدم أن ينبئهم بما عجزوا عن معرفته، ويخبرهم بما قصرت مداركهم عن علمه، بياناً لفضله، وإظهاراً لحكمه استخلافه في الأرض، وقد كان، وأخبرهم خليفة الله بما عجزوا عنه، فناداهم ربهم (أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ) {سورة البقرة: 33}، ثم أقبل الله على آدم، فأسكنه هو وزوجه الجنة، وأوحى إليه أن أذكر نعمتى عليك، فإنى خلقتك ببديع فطرتى، وسويتك بشراً على مشيئتى، ونفخت فيك من روحى، وأفضت عليك قبساً من علمى، وجعلت الملائكة تسجد لك.

وهذا إبليس قد طردته من رحمتى، ولعنته حين خرج عن طاعتى. وها هى ذى الجنة، جعلتها لك منزلاً ومقاماً.

فإن أطعت كافأتك بالإحسان، وخلدتك فى الجنان، وإن تركت عهدى أخرجتك من دارى وعذبتك بنارى. ثم لا تنس أن إبليس هذا عدو لك ولزوجك، سيحاول غوايتكما، وإخراجكما من الجنة، فتشقى.

وأباح الله لآدم وزوجه أن يأكلا من ثمار أشجار الجنة كلها حيث شاءا، إلا شجرة واحدة، نهاهما عنها.

قال ﷻ: (اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلاَ مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الْظَّالِمِينَ) {سورة البقرة: 35}.

ووعد الله آدم وزوجه أن يمد لهما فى أسباب النعيم إن اجتنبا الشجرة التى نهاهما عنها، فلا يمسهما فى الجنة جوع ولا عرى، ولا ينالهما ظلم ولا نصب..

قال ﷻ: (إِنَّ لَكَ أَلاَّ تَجُوعَ فِيهَا وَلاَ تَعْرَى. وَأَنَّكَ لاَ تَظْمَأُ فِيهَا وَلاَ تَضْحَى) {سورة طه: 118-119} ولا تضحى معناها أى لا يؤذيك حر الشمس.

وسكن آدم الجنة، وصار يتمتع بما فيها من كل ما تشتهى الأنفس وتلذ الأعين، وشاركته هذه المتعة زوجه أم الناس جميعهم السيدة حواء، وعاشا كذلك مدة، ينهلان من مناهل السعادة.

وأحزن ذلك إبليس عليه لعنة الله، فعز عليه أن ينعم آدم وزوجه، وهو مطرود من رحمة الله، مبعد عن جنته، فعقد العزم على أن يخوض عرش

السعادة والنعيم الذى يرفلان فيه. فدلف إلى الجنة وحدث آدم فى سر وخفاء، وأوهمه بأنه مخلص في وده، صادق في نصحه، قال ﷻ: يوضح لنا ما فعله إبليس (مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ) {سورة الأعراف: 20}.

ولما وجد من كل من آدم وزوجه إعراضاً، وآذاناً غير راغبة فى سماع صوته، أقسم لهما بأنه من الناصحين، ولا يقصد إلى ضررهما، ولما لم يستجيبا له، حاول إغراءهما بطيب ريح تلك الشجرة، وبديع طعمها، وحسن لونها، فأغترا بقوله، وافتتنا بزخرف لفظه، ومعسول خطابه، وأتبعا مشورته، واستجابا لإغوائه وأكلا من تلك الشجرة التى نهاهما الله عنها.

فناداهما الله ﷻ: (أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ) {سورة البقرة: 22}.

أذلهم الشيطان إذن... وندما على فعلتهما، و (قَالا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ) {سورة البقرة: 33}. فغفر الله لهما زلتهما، وتاب عليهما، فأثلج ذلك صدرهما، وقرت به عينهما، وانبثق الأمل فى نفسيهما بالبقاء فى الجنة، والتمتع بنعيمها، إلا أن الله كان قد قضى عليهما بالخروج من الجنة والهبوط إلى الأرض.

قال ﷻ: (اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى) {سورة طه: 123}.

وبذلك انتهى طور النعيم الخالص والراحة التامة التى كانا ينعمان بها فى الجنة، ودخلا فى طور جديد لهما فيه طريقان: طريق الهدى وطريق الضلال.. طريق الإيمان وطريق الكفر... طريق الفلاح وطريق الخسران.

فمن اتبع هدى الله الذى شرعه، وسلك الصراط المستقيم الذى حدده، فلا خوف عليه من وسوسة الشيطان وإغوائه، ومن أعرض عن ذكر الله، وحاد عن سبيله، فسيكون من الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً.

إدريس عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

(وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا . وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا)

صدق الله العظيم

{سورة مريم: 56-57}.

نبينا إدريس عليه السلام هو أول من أعطى النبوة من بنى آدم بعد آدم عليه السلام وهو ممن علا شأنهم عند الله؛ مصداقاً لقوله تعالى: (وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا) {سورة مريم: 57}.

وقد مر به رسولنا الكريم محمد ﷺ وهو فى رحلة المعراج فى السماء الرابعة، كما ورد فى صحيحى البخارى ومسلم.

ويقول ابن إسحق ﷺ إنه أول من خط بالقلم.

وقد كان للمكانة العظيمة والنبوة التى اختصه الله بها، أثرها فيمن عايشوه وخالطوه من بنى آدم..

هدى الناس إلى الله.. وعلمهم الكتابة.. وملأ قلوبهم بالحكمة.. وفتح عيونهم علي آثار نعمة الله ﷻ.

وعلمهم كيف يعبدون الله، ويعبرون له عن شكرهم، وظل الناس بعده يتوارثون حكمته ووصاياه حتى أرسل الله نوحا عليه السلام فحمل لواء النبوة من بعده، وقال للناس إنى رسول الله إليكم.. أبلغكم رسالة ربى.

نوح عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

(إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ. قَالَ يَا
قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ. أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ)

{سورة نوح: 1-3}.

في الزمان البعيد، كان يعيش على الأرض، مع من يعيش عليها من الناس، خمسة رجال صالحين هم: ود، وسواع، ويغوث، ويعوق، ونسرا. وكان الناس يحبونهم حباً شديداً، ويهتدون بهدايتهم، ولما مات أولئك الرجال الصالحون، حزن الناس لفراقهم حزناً شديداً، واقترح أحدهم أن يصنعوا لهم تماثيل تذكر الناس بهم، فأعجبتهم الفكرة ونفذوها.

ومرت الأعوام، ومات الآباء والأجداد، وجاء جيل من وراء جيل، ونسى الناس أن تلك التماثيل مجرد ذكرى للصالحين، وأغواهم الشيطان، فجعلهم يتقربون إليها تبركاً بأصحابها، وشيئاً فشيئاً عبدوها، وتركوا عبادة الله.

فأرسل الله ﷻ إليهم نبياً منهم هو نوح عليه السلام ليخرجهم من ظلمات الشرك إلى نور الإيمان.

وحذر نوح قومه قائلاً لهم:

{يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ} {سورة الأعراف: 59}.

واستمر يدعوهم بالحكمة والموعظة الحسنة ليرجعوا عن كفرهم، ويتركوا عبادة الأصنام، ويعبدوا الله وحده لا يشركون به شيئاً.

وأخذ نوح يقدم لهم الأدلة على صدق دعوته، ويلفت أنظارهم إلى ما في الكون من دلائل قدرة الله ووحدانيته، فيقول لهم:

{مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا . وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا . أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا . وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا . وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا . ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا . وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا . لِّتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا} {سورة نوح: 14: 20}.

فاستجاب له عدد قليل من أصحاب العقول الراجحة، وظل باقي قومه على ضلالهم وشركهم بالله، وكذبوه وقالوا:

{مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ} {سورة المؤمنون: 24}.

ودعوا الناس إلى التمسك بالشرك والضلال، وقالوا:
(لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُوَاعًا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا) {سورة نوح: 23}.

وصبر نوح، واستمر يدعوا قومه إلى الله ليلاً ونهاراً... سراً وعلانية، وكان يحببهم في طاعة الله ويرغبهم فيما عنده من الخير الوفير، فيقول لهم: (اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا . يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا . وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا) {سورة نوح: 10-12}.

فقالوا: (مَا نَرَاكَ إِلا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ) {سورة هود: 27}

وهددوه هو والذين آمنوا معه بالقتل..
(قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُجْرَمِينَ) {سورة الشعراء: 116}.

ولم يخش نوح والذين آمنوا معه من تهديدات الكافرين، بل زادتهم إيماناً. واستمر نوح يدعوهم تسعمائة وخمسين عاماً.وظل يحذرهم من عذاب الله فلم يؤمن به إلا جماعة قليلة.. أما أكثرهم فقد ضاقوا به وبدعوته، وقالوا له: (يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ) {سورة هود: 32}.

فحزن نوح من جرأتهم على الله، وتعجب من استعجالهم العذاب، وظل يدعوهم، حتى جاءه الوحي بقوله ﷻ: (وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلا مَن قَدْ آمَنَ فَلا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ) {سورة هود: 36}.

ورضى نوح عليه السلام بقضاء الله وقدره، وأيقن أن مشيئته نافذة، فرفع يديه إلى السماء، ودعا ربه:
(رَّبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا . إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلا يَلِدُوا إِلا فَاجِرًا كَفَّارًا) {سورة نوح: 36-37}.

فاستجاب الله ﷻ لدعاء نبيه، وأمره أن يصنع سفينة كبيرة، ثم يجمع فيها من كل شئ زوجين اثنين: من الطيور والحيوانات، ومن كل الكائنات، ثم يركب السفينة هو والذين آمنوا معه، فاستجاب نوح لأمر ربه، وبدأ هو والذين آمنوا معه فى صنع السفينة.

وكلما مر عليهم الكافرون استهزؤوا بهم وسخروا منهم، وتعالت ضحكاتهم من أولئك الذين يصنعون سفينة على أرض ليس بها بحر ولا نهر.

وكان نوح يقول لهم كلما سخروا منه: (إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ) {سورة هود: 38}.

ولما حانت ساعة العذاب، وضع نوح في السفينة كل الأفواج التي جمعها، ونادى أهله ومن آمن به، قائلاً: (ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ) {سورة هود: 41}.

وصدر أمر الله ﷻ إلى السماء والأرض لتخرجا ماءهما، فنزلت الأمطار من السماء، وتفجر الماء من الأرض، وارتفع الماء رويداً رويداً حتى تعالت أصوات المستغيثين.

وكان ابن نوح من بين الذين لم يؤمنوا بالله، ورآه نوح وهو يغوص في الماء مسرعاً، يبحث عن شئ يحتمي به، فناداه نوح عليه السلام: (يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ) {سورة هود: 42}.

لكنه تمسك بكفره وشركه. (قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ) {سورة هود: 43}.

فقال له أبيه: (لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ) {سورة هود: 43}.

وهاجت الأمواج العالية، وأخذت معها الابن العاق لتغرقه، فدعا نوح ربه: (رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ) {سورة هود: 45}.

فجاء الجواب سريعاً من المولى ﷻ: (يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ) {سورة هود: 46}.

فرضي نوح بقضاء الله، وقال معتذراً: (رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ) {سورة هود: 47}.

عند ذلك صدر الأمر الإلهي إلى السماء والأرض:

(يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي) {سورة هود: 44}.

فقل الماء تدريجياً حتى رست السفينة على الأرض.

فقال الله ﷻ، مخاطباً نبيه: {يا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلامٍ مِّنَّا وَبَرَكاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ} {سورة هود: 48}.

وهكذا نجى الله ﷻ نوحاً عليه السلام والذين آمنوا معه، وأغرق الكافرين.

❁❁❁

هود عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

(كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ.إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلاَ تَتَّقُونَ.إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ.فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ)

صدق الله العظيم

{سورة الشعراء: 123 - 126}.

كانت قبيلة "عاد" هى إحدى قبائل العرب، فى الزمن القديم، وكانت تستوطن "الأحقاف" وهى موضع جنوب جزيرة العرب بين اليمن وعمان. ولقد أنعم الله عليهم بالخير الكثير، فتفجرت فى أرضهم عيون الماء، تسقى زرعهم وحرثهم، كما تسقى أنعامهم.. مما جعل بلادهم جنة من جنات الله فى الأرض.

ولقد آتاهم الله ما لم يؤت أحداً من العالمين، وزادهم بسطة فى الجسم وصحة فى البدن. ومع ذلك نسوا الخالق المنعم، واتخذوا لهم أصناماً يعبدونها ويقدمون لها القرابين.

فكان لابد أن يبعث الله إليهم رسولاً من أنفسهم يحدثهم بلغتهم ويخاطبهم بما يناسب عقولهم، ويرشدهم إلى خالقهم بعد أن ظلموا أنفسهم واغتروا بقوتهم وقالوا: (مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً) {سورة فصلت: 15}.

ولأن الأنبياء جميعاً يتحلون بالحلم والصبر، فقد تحمل نبى الله "هود" عليه السلام، أذاهم وصبر على ما يقولون وعلى كفرهم بالله، أملاً فى أن تنفتح قلوبهم لكلامه، وتصغى آذانهم لنصحه وإرشاده، فيهتدون.

ونبى الله لا يريد منهم جزاءً ولا شكوراً، بل ينصحهم لوجه الله..

إلا أنهم أصروا على عنادهم وعلى كفرهم، وأخذتهم العزة بالإثم.. وتجاهلوا كل الحجج والبراهين التى تدل على صدق نبيهم "هود" عليه السلام، وعلى وجود الله الذى يستحق العبادة بغير شريك، (قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ) {سورة هود: 53}.

ولقد تعجبوا أن يكون النبى بشراً مثلهم، بل واحداً منهم يأكل مما يأكلون، ويشرب مما يشربون، ويعدهم بالبعث بعد الموت.

ويخبرنا الله، فى القرآن الكريم، عما دار بينهم من حديث فيقول عز وجل:

(وَقَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ. وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ. أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ. هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ. إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ) {سورة المؤمنون:

33-37}. ورد عليهم هود عليه السلام قائلاً: (إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ. فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ) {سورة الشعراء: 143- 144}.

ولكنهم أبوا إلا أن يكذبوه، بل سخروا منه قائلين: (إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ) {سورة الأعراف: 66}. (قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ. أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ) {سورة الأعراف 67-68}.

وكان هود عليه السلام ككل الأنبياء والمرسلين الذين اصطفاهم الله وفضلهم، قمة فى الخلق الرفيع، وغاية فى الحلم والصبر والتسامح، والتلطف فى إسداء النصح. ولكنهم أمعنوا فى ضلالهم وكفرهم بالله، وقالوا:

إنما أصابه ما أصابه لأن بعض آلهتنا قد اعتراه بسوء حين عابها.

وعاد هود عليه السلام يحذرهم وينذرهم وينصحهم قائلاً:

(إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ) {سورة الشعراء: 135}.

فقالوا له، وقد ازدادوا عناداً وكفراً: (أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ) {سورة الأعراف: 70}.

فأجابهم إجابة حاسمة وقال:

(قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ فَانتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ) {سورة الأعراف: 71}.

وبدأت مقدمات العقاب الإلهى، والعذاب الرباني؛ حيث امتنع سقوط المطر، فمات الزرع وجف الضرع، بعدهما أصابهم قحط شديد.

وخرجوا يستغيثون، ويتطلعون إلى السماء لعلهم يلمحون سحاباً يبشرهم بنزول المطر، وبالفعل رأوا سحابة سوداء قادمة نحوهم من بعيد، فاطمأنوا وتهللوا وظنوا أن قحطهم سيزول قريباً. ولكن فرحتهم سرعان ما تبددت، إذ لم تكن تلك السحابة تحمل مطراً، وإنما كانت ريحاً عاصفة، عصفت بهم سبع ليال وثمانية أيام ودمرت كل شئ، ولم تترك منهم أحداً حياً.

قال ﷻ: (فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ) {سورة الأحقاف: 25}.

أما "هود" ومن آمن معه، فقد نجاهم الله من ذلك العذاب، فلم يصبهم ما أصاب الكافرين.

قصة نبي الله صالح عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

(وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)

{سورة الأعراف: 73}.

بعد "هود" عليه السلام، قاد قافلة الإيمان ودعوة التوحيد "صالح" عليه السلام. وكما أرسل "هود" عليه السلام إلى (عاد) وكان ما كان من شأنه معها، ومآلها الذى آلت إليه، وعرفناه فى الصفحات السابقة.

أرسل الله "صالحاً" إلى (ثمود)، ليدعوهم إلى عبادة الله ولا يشركوا به أحداً.

ومثلما كانت (عاد) إحدى قبائل العرب، ثمود أيضاً كانت إحدى القبائل العربية، وكانت تستوطن موضعاً فى شبه الجزيرة العربية، قريباً من ساحل البحر الأحمر.

وقد جعلهم الله خلفاء من بعد عاد.. وبوأهم فى الأرض، يتخذون من سهولها مراع ومزارع وينحتون فى جبالها بيوتاً وقصوراً.

وأنعم الله عليهم بنعم كثيرة.. فالأرض خصبة. والمياه وفيرة، ومن حولهم المروج الخضر والنخيل.

إلا أن إبليس كان لهم بالمرصاد، وأغراهم بعبادة الأصنام واتخذاها آلهة من دون الله.

ولم يتركوا منكراً إلا فعلوه، ولا ذنباً إلا اقترفوه، حتى أصبحت حياتهم كلها شروراً وآثاماً.

ولما كان الله ﷻ، لا يعذب أحداً، أو يغضب على قوم أشركوا به، إلا بعد أن يرسل إليهم رسولاً، كما يقول فى كتابه الكريم: (وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا) {الإسراء: 15}، فإنه لم يشأ أن يعذبهم حتى يبعث إليهم رسولاً منهم، فإن خالفوه، وعصوا، استحقوا العذاب.

من أجل هذا أرسل الله إليهم رسوله "صالحاً" عليه السلام، الذى دعاهم إلى عبادة الله الواحد الأحد، وترك عبادة الأصنام.. وذكرهم بنعمة الله قائلاً: (وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا) {سورة الأعراف: 74}.

لكنهم لم يذكروا نعم الله وفضله عليهم، ولم يشكروه، على أن أرسل إليهم رسولاً منهم يهديهم إلى الصواب، ويبلغهم رسالة ربه حتى يرضى عنهم، ولا يعذبهم.

وقالوا له: (أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ) {سورة هود: 62}.

فرد عليهم صالح عليه السلام قائلاً: (إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ. فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ. وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ) {سورة الشعراء: 143-145}.

ولما تمادوا في طغيانهم، واستمروا في عصيانهم، أخذ يحذرهم قائلاً: (أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ. فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ. وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ. وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ. فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ) {سورة الشعراء: 146-150}.

فقالوا له: (مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ) {سورة الشعراء: 154}.

ودعا صالح عليه السلام ربه، أن يأتيه بما طلبوا، أملاً في أن يكفوا عن عنادهم، ويعودوا إلى رشدهم.

وأجاب الله دعاءه.. فإذا بناقة بديعة الجمال، أجمل وأبهى من كل ما لديهم من نوق، تخرج من بين صخور الجبل أمام أعينهم.

وقال لهم صالح عليه السلام:

(هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) {سورة الأعراف: 73}.

أما الماء فهو قسمة بينكم وبينها.. لا تشاركوها في يومها، ولا تشارككم في يومكم. (لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ) {سورة الشعراء: 155}. ..

ومال كثير من المستضعفين، وقليل من الأشراف إلى الإيمان بالله، بعدما رأوا الآية..إلا أن الشيطان كان لهم بالمرصاد، فأغرى الذين استكبروا منهم والأشرار، وسلطهم على الناقة، فرماها أحدهم بسهم، وأسرع آخر ليجهز عليها بسيفه.

وأسرع بعضهم إلى صالح ﷺ يقول له في صلف وغرور:

لقد عقرنا الناقة.. فأين العذاب الذى أنذرتنا به؟ فقال لهم صالح ﷺ:

(يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِن لَّا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ) {سورة الأعراف: 79}.

ونظر القوم بعد أن تولى عنهم صالح ﷺ هو ومن آمن معه، فإذا صاعقة شديدة مصحوبة بصوت عظيم وزلزال مدمر يقضى عليهم وعلى كل أثر لهم.

قال ﷻ: (فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ. فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ. وَأَنجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ) {سورة النمل: 51-53}.

إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام

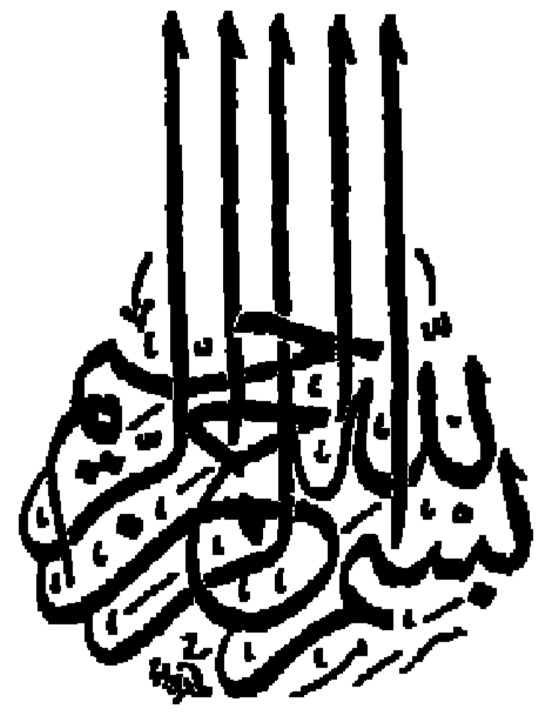

(وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ. إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ)

{الزخرف: 26-27}.

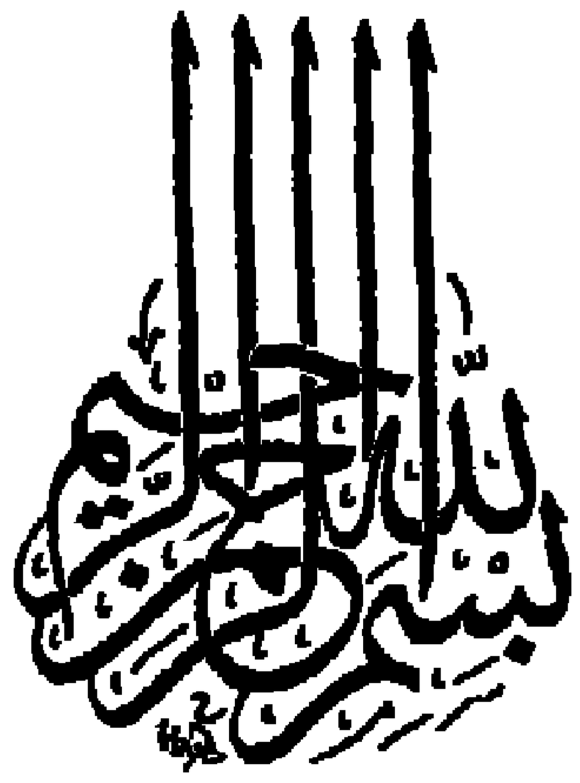

(فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ)

{الصافات: 102}.

كان مولد إبراهيم عليه السلام فى بابل بالعراق، وكان الناس فى ذلك الزمن البعيد الذى ولد فيه، بعضهم يعبد الكواكب والنجوم، وبعضهم يعبد التماثيل التى يصنعونها من الحجارة ومن الأخشاب. وكان (آزر) أبا إبراهيم أحد هؤلاء الذين يصنعون التماثيل، بل كان أمهرهم فى تلك الصناعة. يصنعها ليبيعها لقومه، وفى نفس الوقت كان يعبدها مثلما يعبدها بقية قومه.

إلا أن الله عز وجل عصم نبيه من عبادة تلك الأصنام أو التماثيل، وأنار قلبه وعقله وجعله يدرك بفطرته السليمة منذ صغره أن تلك الأصنام والتماثيل ما هى إلا حجارة وأخشاب لا تنفع ولا تضر، ولا يمكن أن تكون آلهة تعبد، وأن العبادة لا تكون إلا لله وحده، خالق السماوات والأرض، والقادر على كل شئ.

هذا ما كان يدركه إبراهيم عليه السلام بفطرته السليمة. ثم بعدما أصبح شابا فتياً، بعثه الله إلى قومه، ليدعوهم إلى عبادة الله الواحد الأحد، وينهاهم عما هم فيه من الكفر والضلال، فتوجه عليه السلام أول ما توجه إلى أبيه (آزر) وخاطبه بالقول اللين وبالأدب الجميل، ودعاه بالحسنى إلى عبادة الله وحده.. قال له:

(يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا .يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا .يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا .يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا) {سورة مريم: 42-45}.

فلم يقبل آزر كلام إبراهيم عليه السلام، بل هدده وتوعده وأمره أن يهجره ويبتعد عنه.. قال له:

(أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا) {سورة مريم: 46}.

فقابل إبراهيم تهديد والده بصدر رحب ونفس مطمئنة.. قال له: (سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا) {سورة مريم: 47}.

وتركه وانصرف وهو حزين لتمسكه بالكفر وعدم إيمانه بالله.

وأراد إبراهيم عليه السلام أن يبين لقومه أنهم ليسوا على حق فيما يعبدون، وأن يقنعهم بالعقل والحجة، فانتظر حتى دخل عليهم الليل، وظهر كوكب يتلألأ فى السماء، فقال - وهو يشير إليه -، وموجهاً قوله إلى قومه: (هَذَا رَبِّي) {سورة الأنعام: 76}. ثم انتظر حتى غاب هذا الكوكب وأفل ولم يعد يرى بالعين، فقال: (لا أُحِبُّ الآفِلِينَ) {سورة الأنعام: 76}، وكأنه يقول لهم أنه لا يصلح أن يكون إلهاً.

وأنتظر فى يوم آخر حتى ظهر القمر وامتلأت السماء بضيائه، فقال: (قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ) فلما غاب القمر واختفى نوره تبرأ منه، وقال لقومه إنه ليس إلهاً.

فلما طلعت الشمس مشرقة مضيئة، وأرسلت الدفء والنور فى كل مكان، قال: (قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ) {سورة الأنعام: 78}.. ولما غربت الشمس، وأتضح للناس أنها أيضاً لا تصلح أن تكون إلهاً قال لقومه: (يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ) {سورة الأنعام 79}.

لكنهم لم يستجيبوا لدعوته، بل ظلوا يجادلونه، ويهددونه بأن آلهتهم ستصيبه بالأذى والسوء. فلم يستمع لكلامهم، وتعجب منهم لأنهم يخافون من أشياء لا تضر ولا تنفع، ولا يخافون من الله.

وعندما لم ينفع معهم أى نصح أو أى إقناع، أقسم إبراهيم أنه سيحطم هذه الأصنام (أى التماثيل) التى يعبدونها.

وانتظر حتى جاء يوم عيدهم الذى يحتفلون به خارج البلدة فى المزارع والبساتين وحول الأنهار وذهب إلى المعبد، الذى توجد به الأصنام، فوجد قومه قد وضعوا أمامها طعاماً وشراباً، فقال مستهزئاً:

(أَلا تَأْكُلُونَ. مَا لَكُمْ لا تَنطِقُونَ) {سورة الصافات: 91-92}.

ثم رفع عليه السلام الفأس التى كان يحملها فى يده، وهوى بها على الأصنام، فكسرها، ما عدا أكبر صنم فيها؛ علق الفأس فى رقبته وكأنه هو الذى فعلها.

ولما رجع القوم من احتفالهم بعيدهم، ودخلوا المعبد، وجدوا أصنامهم قد تكسرت.. فأصابتهم حسرة ولوعة، ثم تساءلوا فى دهشة: (مَن فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ) {سورة الأنبياء: 59}.

وقال بعضهم: (سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ) {سورة الأنبياء: 60} فأمروا بإحضاره..

ولما حضر عليه السلام سألوه (قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ) {سورة الأنبياء: 62}.

فقال إبراهيم عليه السلام (قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ) {سورة الأنبياء: 63}.

فاحتار القوم وقالوا: (لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنطِقُونَ) {سورة الأنبياء: 65}.

وهكذا اعترفوا بأنها حجارة لا تنطق ولا تتكلم.. ولا حول لها ولا قوة.

وهنا أبدى إبراهيم عليه السلام تعجبه واندهاشه، وقال لهم: (أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ. أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ) {سورة الأنبياء: 66-67}.

وسكت القوم ولم يستطيعوا رداً، بعدما أفحمهم إبراهيم، ولكن الغرور والكبرياء أعماهم، وأصروا على كفرهم وضلالهم، ورأوا أن يتخلصوا من إبراهيم عليه السلام، فقرروا أن يحرقوه..

قالوا: (حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ) {سورة الأنبياء: 68}.

فجمعوا حطباً وخشباً كثيراً ووضعوه فى الساحة الكبيرة وأشعلوا ناراً عظيمة، ثم قبضوا على إبراهيم عليه السلام وألقوه فى النار، وهو يقول: حسبى الله ونعم الوكيل.

وفى نفس اللحظة التى ألقى فيها إبراهيم عليه السلام فى النار، وقبل أن تمسه، صدر الأمر الإلهى: (يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ) {سورة الأنبياء: 69}.

ولم تحرق النار سوى الحبل الذى كان مقيداً به إبراهيم عليه السلام وبقى إبراهيم عليه السلام مدة فى النهار، دون أن يصاب بأى سوء أو أذى "إذ كانت العناية الإلهيه تحفظه.

وارتفعت صيحات الناس من حول النار وهم فى دهشة وحيرة، وعندما خرج إبراهيم عليه السلام من النار وانصرف، كان لسان حالهم يقول: نعم الرب رب إبراهيم! .

قصة إبراهيم عليه السلام والنمرود.

وسمع النمرود ملك بابل، بما حدث من تحطيم للأصنام، ونجاة إبراهيم عليه السلام من النار. وكان من قبل قد سمع بما يدعو إليه إبراهيم عليه السلام من عبادة الله وحده لا شريك له.

وكان النمرود ملكاً جباراً يحكم الناس بالحديد والنار، وكان الناس يخضعون له ولا يخالفون أوامره، بل كانوا يعبدونه بعدما ادعى أنه ربهم!.

استدعى النمرود إبراهيم عليه السلام وسأله عن الله الذى يدعو الناس إلى عبادته، فقال له إبراهيم عليه السلام: (رَبِّيَ الذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ) {سورة البقرة: 258}.

فأخذت النمرود العزة بالإثم وقال فى كبرياء وغرور: (أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ) {سورة البقرة: 258}. فأستطيع أن أحضر الآن سجينين من سجنى، فأقتل أحدهما وأعفو عن الآخر!.

فأيقن إبراهيم عليه السلام أن الجهل والحماقة يعميان بصره، كما يعميان بصيرته، وأراد أني قدم له دليلاً على قدرة الله وتفرده فى العظمة، فقال له: (فَإِنَّ اللهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ المَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ المَغْرِبِ) {سورة الأنبياء: 258}.

فبهت النمرود، ولم ينطلق بكلمة، وتركه إبراهيم عليه السلام غارقاً فى حيرته وزهوله، وانصرف..

قال ﷺ: (فَبُهِتَ الذِي كَفَرَ وَاللهُ لاَ يَهْدِي القَوْمَ الظَّالِمِينَ) {سورة البقرة: 258}.

قصة إبراهيم عليه السلام والطير.

تمنى إبراهيم عليه السلام أن يرى كيف يحيى الله الموتى، فتضرع إلى الله قائلاً: (رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي المَوْتَى) {سورة البقرة: 260}..

فسأله الله، وهو أعلم بما فى قلبه: (أَوَ لَمْ تُؤْمِنْ) {البقرة: 260}.؟

فسارع إبراهيم عليه السلام ، وبين سبب سؤاله، وهو رغبته فى أن يطمئن

قلبه، بمشاهدته لكيفية بعث الموتى.. قال‌عليه السلام: (وَلَكِن لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي) {سورة البقرة: 260}.

واستجاب الله لرغبة نبيه وخليله إبراهيم‌عليه السلام، وأمره أن يأتى بأربعة من الطير، ثم يذبحها، ثم يقطعها إلى أجزاء، ثم يضع كل جزء منها على جبل، ثم ينادى عليها، فتأتيه فى الحال، فأسرع إبراهيم‌عليه السلام إلى تنفيذ ما أمره الله تعالى به.

ولما نادى الطير، إذا بكل جزء يتحرك من مكانه، وينضم إلى نظيره مشكلاً طيراً كاملاً مكتملاً.. وكذلك فعلت الأجزاء الأخرى، ثم عادت إليها الحياة وطارت متوجهة إلى حيث يقف إبراهيم عليه السلام.

وهنا غمرت السكينة والطمأنينة نفس إبراهيم‌عليه السلام ،وسجد لله إجلالاً وتعظيماً؛ ولسان حاله يقول: حدث هذا لما دعوتهن، فكيف لو كان الداعى هو الله العزيز الحكيم.

عندما لم يستجب أهل بابل لدعوة التوحيد التى دعاهم إليها إبراهيم، وبعدما اشتد إيذاؤهم له، رحل هو وزوجته سارة وابن أخيه لوط عليه السلام إلى أرض الشام.

وكان وهو فى طريق سفره يدعو الناس الذين يقابلهم إلى عبادة الله الواحد الأحد، وينهاهم عن الشرك به وعبادة الأصنام.

واستقر بعضاً من الزمن فى الشام، بعدما أوحى إليه الله: (إنى جاعل هذه الأرض لك ولذريتك). إلى أن جاء عام كان فيه جفاف شديد، فهاجر إبراهيم عليه السلام هو وزوجته سارة إلى مصر ومكث فيها هو وزوجته سارة قليلاً، ثم عندما قررا الرحيل منها والعودة إلى الشام، أهداهما ملكها أموالاً وأغناماً وأبقاراً كثيرة، كما أهدى سارة جارية مصرية لتخدمها اسمها هاجر.

وكان إبراهيم‌عليه السلام قد صار شيخاً كبيراً، وليس له ولداً من زوجته سارة، التى لم تكن تنجب، وكانت سارة تشعر بحزن إبراهيم‌عليه السلام لهذا السبب، فأهدته هاجر جاريتها ليتزوجها، لعل الله يرزقه منها الذرية الصالحة التى ستعمر الأرض من بعده.

تزوج إبراهيم عليه السلام هاجر المصرية، ورزقه الله منها ولداً جميلاً أشرقت له الدنيا هو إسماعيل عليه السلام.

ومرت الأيام والشهور وترعرع إسماعيل عليه السلام وراح يطوف فى البيت ويلعب هنا وهناك.

وتحركت فى نفس سارة الغيرة وتسلل بعض الحقد والكره إلى قلبها؛ إذ ظنت أن هاجر بعدما أصبحت أماً لابن إبراهيم عليه السلام سيعلو شأنها وتفضلها عند زوجها، وتمنت لو أن الله أعطاها ولداً مثلما أعطى هاجر ولداً.

وبينما كان إبراهيم عليه السلام جالس أمام داره، إذا برجال يلبسون ثياباً بيضاء يدخلون عليه يقولون: سلاماً فقال لهم: سلام قوم منكرون (أى لا نعرفهم).

ثم دخل الدار وأتى بعجل سمين وقربه منهم وهو يقول: ألا تأكلون؟

ولكنهم لم يمدوا أيديهم إلى العجل ليأكلوا، فقال لهم إبراهيم عليه السلام من أنتم إنا منكم وجلون (خائفون) .

فقالوا له: لا تخف إنا ملائكة الله أرسلنا إلى قوم لوط. وكانت سارة قريبة منهم، فضحكت لما رأت خوف زوجها منهم. فنظرت إليها الملائكة وقالت: ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾ {سورة الحجر: 53}.

فتعجبت سارة من قولهم وقالت: عجوز عقيم، تلد، وزوجها شيخ كبير، إن هذا لشئ عجيب.

وقال إبراهيم عليه السلام ﴿أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَن مَّسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ. قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ﴾ {سورة الحجر: 54}.

فقال: ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ {سورة الحجر: 56}.

وحملت سارة وأنجبت (إسحاق) وفرح به إبراهيم، وسجد شكراً لله وقال: الحمد لله الذى وهب لى على الكبر إسماعيل وإسحاق إن ربى لسميع الدعاء.

ولم تتحمل سارة وجود هاجر، فطلبت من إبراهيم عليه السلام أن يأخذها بعيداً عنها.

وأمر الله ﷻ إبراهيم عليه السلام أن يهاجر بابنه إسماعيل عليه السلام وزوجته هاجر إلى مكان آخر.

فأخذ إبراهيم عليه السلام زوجته وابنه وظل يسير فى صحراء الجزيرة العربية حتى وصل إلى وادى مكة، وكانت حينئذ صحراء قاحلة، لا أنيس فيها ولا جليس، ولا زرع فيها ولا ماء.

ولما وصل إبراهيم عليه السلام إلى هذا المكان، ترك هاجر وإسماعيل وأراد أن ينصرف عائداً إلى الشام، فقالت له هاجر: إلى أين تذهب وتتركنا فى هذا الوادى يا إبراهيم حيث لا زرع ولا ماء؟.. هل أمرك الله بهذا؟!.

قال: نعم:

فقالت بكل يقين: إذن لن يضيعنا الله!.

ثم مضي إبراهيم عليه السلام فى طريقه إلى الشام وهو يدعو الله:

(رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ) {سورة إبراهيم: 37}.

استقرت هاجر هى وابنها الصغير إسماعيل فى هذا المكان، وسرعان ما نفد ما معها من طعام وشراب.. وراح الطفل الصغير يصرخ من العطش فتركته وذهبت بعيداً تبحث عن الماء.. وهرولت بين جبلين يشرفان على المكان، هما جبلى، الصفا والمروة.. راحت وجاءت وهى تهرول سبع مرات لكنها لم تجد ماءً، فعادت إلى صغيرها، وقد سلمت أمرها لله، راضية بقضائه وقدره. ولفرط اندهاشها وجدت الماء قد نبع تحت قدمى صغيرها، فراحت تقول: زم.. زم. (أى توقف عن الاندفاع).. لقد كانت تخشى أن ينتهى الماء!..

ثم راحت تغرف الماء بكفيها وتشرب وتسقى صغيرها. ومن يومها وحتى الآن لم يتوقف اندفاع الماء من هذا المكان الذى أصبح معروفاً باسم: بئر زمزم (وكأن هاجر قد أعطته الاسم!).

ونظرت هاجر فإذا الطيور تحلق فى السماء فوق نبع الماء.. وفى ذات الوقت كان قوم من (جرهم) إحدى القبائل العربية التى تسكن شبه

جزيرة العرب، تسير قرب هذا المكان، فرأوا الطيور المحومة حوله، فعرفوا منها أن المكان به ماء، فأسرعوا إلى هناك، وبعد أن شربوا وارتووا، نصبوا خيامهم حول الماء واستقروا فى المكان. وأنست هاجر بهم، وعاشت إلى جوارهم!.

وشب إسماعيل عليه السلام وسط جرهم، وتعلم منهم اللغة العربية، وتزوج منهم، ورزقه الله الذرية الصالحة.

وكان إبراهيم عليه السلام يأتى من الشام لزيارتهم بين الحين والحين.

وذات مرة، وبينما كان نائماً عند ابنه إسماعيل، رأى فى منامه أنه يذبح ولده، ورؤيا الأنبياء حق، لأنها وحى من الله؛ وأمر من الله عليهم تنفيذه.

ونادى إبراهيم عليه السلام ابنه إسماعيل عليه السلام وقال له: ﴿يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ {سورة الصافات: 102}.

وحمل إبراهيم الحبل والسكين، ومضى يتبعه الابن الكريم، وفى طريقهما إلى الخلاء الذى سينفذان فيه الأمر الإلهى، قابلهما إبليس، بعد أن تجسد لهما فى هيئة رجل، قال:

إلى أين أيها الشيخ؟ .

فقال إبراهيم عليه السلام: إلى هذا الوادى هناك! فقال له:

لعل الشيطان قد جاءك فى نومك فأمرك بذبح ولدك!.

فعرفه إبراهيم عليه السلام، فقال له، وهو يرميه بحصاة التقطها من على الأرض:

إليك عنى يا عدو الله.

فانصرف الشيطان، ثم استدار واقترب من إسماعيل عليه السلام وقال له:

سيذبحك أبوك يا إسماعيل.

فقال إسماعيل عليه السلام:

فليفعل ما أمره به الله.. سمعاً لله وطاعة.

وانحنى إسماعيل عليه السلام على الأرض والتقط حصاة قذفه بها، فانصرف عنهما الشيطان وهو يشعر بالخيبة!

ووصل إبراهيم عليه السلام وإسماعيل عليه السلام إلى المكان الذى سينفذان فيه الأمر الإلهى.

فقال إسماعيل عليه السلام لأبيه عليه السلام: يا أبت إن أردت ذبحى، فأشدد وثاقى، واجعلنى على وجهى حتى لا تنظر إلي فتقع عينك فى عينى، فتضعف وتأخذك الرأفة بى، فلا تطع أمر الله. واخلع قميصى هذا حتى تكفنى فيه، وأحرص على ألا يتلوث ثوبك بدمى فتراه أمى فتحزن.

فقال إبراهيم عليه السلام : نعم العون أنت يا ولدى على أمر الله.

ونام إسماعيل عليه السلام وقد سلم أمره لله. وتهيأ إبراهيم عليه السلام للذبح، وقد أمسك بالسكين فى يده. وإذا به يسمع النداء: ﴿يا إِبْرَاهِيمُ. قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ. إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ﴾ {سورة الصافات: 104-106}.

والتفت إبراهيم عليه السلام فوجد كبشاً أبيضاً له قرنان كبيران، قد بعثه الله فداءً لإسماعيل عليه السلام.

وسالت دموع الأب منهمرة على لحيته البيضاء، وهو يعانق ابنه ويقول: اليوم وهبك الله لى يا ولدى.

بعد هذا الابتلاء العظيم الذى ابتلى به الله ﷻ كلاً من إبراهيم وإسماعيل (عليهما السلام)، رجع إبراهيم عليه السلام إلى فلسطين حيث زوجته سارة وابنه إسحاق عليه السلام، ليعود بعد فترة وجيزة إلى مكة، مرة أخرى، حاملاً معه أمراً إلهياً جديداً، وهو بناء بيت الله الحرام (الكعبة).. لقد كان البيت موجوداً منذ الأزل، ولكن الرمال كانت قد طمرته وأخفته عن العيون!.

قال إبراهيم عليه السلام لابنه إسماعيل عليه السلام: إن الله عهد إلينا أن نطهر بيته للطائفين والعاكفين والركع السجود.

فقال إسماعيل عليه السلام: سمعاً وطاعة لله يا أبت.

وذهبا إلى مكان البيت، وكشفا قواعده، ثم راحا يعيدان بناءه وهما يبتهلان إلى الله ويقولان:

(رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ. رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ. رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) {سورة البقرة 127-129}.

وأراد إبراهيم عليه السلام أن يجعل فى البناء علامة للناس يبدأون الطواف منها، ويختمون بها، فقال لإسماعيل عليه السلام:

يا بنى أحضر لى حجراً طيباً مميزاً أضعه هنا. وذهب إسماعيل عليه السلام ليحضر الحجر وتأخر قليلاً، ثم عاد ليجد أبيه قد أنزل عليه حجر من السماء هو الحجر الأسود أو الحجر الأسعد.

وحين انتهى البناء، أمر الله ﷻ نبيه إبراهيم عليه السلام أن يؤذن فى الناس بالحج.

فقال إبراهيم عليه السلام: كيف يا رب وصوتى ضعيف؟!

فقال له الله ﷻ: عليك بالآذان.. وعلى البلاغ.

قل: يا أيها الناس كتب عليكم الحج إلى البيت العتيق فأجيبوا ربكم. فأذن إبراهيم عليه السلام وهو واقف على المقام (فى المكان المعروف اليوم بمقام إبراهيم عليه السلام).. ولبى الناس النداء وجاءوا من كل فج عميق.

وصدق الله ﷻ إذ يقول:

(وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ) {سورة الحج: 27}.

وعاد إبراهيم عليه السلام إلى أرض فلسطين، أما إسماعيل عليه السلام فواصل فى أرض الحجاز إرساء قواعد التوحيد ومكارم الأخلاق فى نفوس الناس وعقولهم. وحمل أمانة الدعوة إلى عبادة الله الواحد الأحد، ليكون امتداداً لأبيه بأمانة وصدق وإخلاص، وليقيم شعائر الحج إلى بيت الله الحرام الذى اشترك فى بنائه مع أبيه.

وكان إبراهيم عليه السلام يأتى إلى مكة بين الحين والآخر ليزور ابنه إسماعيل عليه السلام وأمه هاجر، ويطمئن على أحوالهم.

إبراهيم عليه السلام وزوجة ابنه اسماعيل عليه السلام.

ذات يوم ذهب إبراهيم عليه السلام لزيارة ابنه إسماعيل عليه السلام، فلم يجده فى الدار، فسأل زوجته عنه، فقالت له:

لقد خرج منذ الصباح ليصطاد لنا شيئاً نأكله.

فقال لها إبراهيم عليه السلام: أليس عندكم شيئاً آكله أو أشربه؟!.

فقالت له: ليس عندنا شئ، فنحن فى ضيق وشدة.

فقال لها عليه السلام: إذا جاء زوجك فاقرئيه السلام وقولى له يغير عتبة داره.

ولما رجع إسماعيل عليه السلام من صيده، أخبرته بالأمر، فقال لها: ذاك أبى ومعنى قوله هذا أن أفارقك.. فهيا ألحقى بأهلك.

وذات يوم آخر، ذهب إبراهيم عليه السلام لزيارة ابنه، فلم يجده فى الدار، فسأل زوجته عنه، فقالت له: ذهب ليصطاد ويأتى بعد قليل إن شاء الله!

فسألها عليه السلام: هل عندكم ما تقدمونه للضيف؟.

فأجابته: عندنا الخير كله بإذن الله!

وأحضرت له لحماً ولبناً (أى أجود ما يؤكل وما يُشرب).

فأكل إبراهيم عليه السلام وشرب، وحمد الله ثم دعا لها ولابنه إسماعيل عليه السلام بالبركة، وقال لها عليه السلام وهو ينصرف:

- إذا جاء إسماعيل فأقرئيه السلام، وقولى له يثبت عتبة داره.

ولما رجع إسماعيل عليه السلام من صيده، شم رائحة أبيه، فسال زوجته:

- هل جاءنا أحد؟

قالت: نعم.. شيخ جليل، ريحه طيب.. قال لى بعد أن مكث قليلاً، أن أقرئك السلام وأقول لك ثبت عتبة دارك، ودعا لى ولك بالبركة. ففرح إسماعيل عليه السلام وقال لها: ذاك أبى، ويوصينى بك خيراً.

ماذا نستنتج من ذلك؟!

.. فى الزيارة الأولى، لمس إبراهيم عليه السلام أن زوجة ابنة بخيلة، لا تكرم الضيف، وغير صبورة، وكثيرة الشكوى من ضيق العيش، فأراد لابنه أن يفارقها. ويتزوج بغيرها، لعل الله أن يكرمه بها.

وفى الزيارة الثانية، لمس إبراهيم عليه السلام أن زوجة ابنه كريمة وصبورة، وتشكر الله تعالى على كل حال، فأراد أن يتمسك بها ابنه ويحفظها.

وهذه الزوجة أنجبت لإسماعيل عليه السلام اثنى عشر ولداً، عاشوا بأرض الحجاز وتكاثروا بها وأنجبوا كل الناطقين بالعربية، جيلاً من بعد جيل، إلى أن بعث الله محمداً ﷺ من نسل إسماعيل عليه السلام ، بعثه الله هادياً للأمة وأميناً على دعوة التوحيد وخاتماً لكل الأنبياء والمرسلين.

لوط عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

(وَلَمَّا أَن جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ. إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ) .

صدق الله العظيم

{العنكبوت: 33-34}.

حين دعا إبراهيم عليه السلام قومه إلى عبادة الله، خالق كل شئ، وترك عبادة الأصنام، تبعه لوط ابن أخيه، واهتدى بهديه، ورافقه فى رحلاته..

وحين استقر إبراهيم عليه السلام بفلسطين، رحل هو إلى "سدوم" (إلى الشرق من نهر الأردن) ليتخذ منها مركزاً للدعوة بإذن من عمه، وبأمره.

وكان أهل "سدوم" معروفين بسوء أخلاقهم وفسادهم، وسمعتهم السيئة كانت منتشرة بين أهل القرى المجاورة. وكانوا إلى جانب فساد أخلاقهم، يقطعون الطريق، ويخونون الرفيق والصديق!.

وكانوا إلى جانب هذا وذاك، يأتون فى ناديهم المنكر ولا يتحرجون أو يخجلون.. فكان الرجل منهم يأتى شبيهه الرجل، ولا يأتى المرأة، التى أحلها الله له!.

كان إبراهيم عليه السلام يرغب فى هدايتهم وإرشادهم إلى عبادة الله الواحد الأحد.. خالق كل شئ، فإذا ما اهتدوا وعبدوا الله سيتركوا المنكر الذى يفعلونه، ولا يفعلوا إلا كل ما يرضى الله عز وجل.

ولكن إبراهيم عليه السلام كان قد أصبح شيخاً كبيراً، والمهمة كانت قد أصبحت ثقيلة عليه، لذلك عهد بالأمر إلى ابن أخيه لوط عليه السلام.. فهو يتوقد حماسة وفتوة وكان صادقاً ومخلصاً فى نيته لله عز وجل.

أخذ لوط عليه السلام ينصحهم ويرشدهم، ويدعوهم إلى الخير والعمل الصالح وتقوى الله، إلا أنهم لم يستجيبوا له.

وتمكن حب الرذيلة من نفوسهم إلى درجة أنهم حينما كان لوط عليه السلام يذكرهم بالله ويخوفهم من عقابه يقولون لبعضهم البعض: (أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ) {سورة النمل: 56}.

إن الطهر والنقاء واستقامة الخلق كانت فى نظرهم من الأسباب التى تدعو إلى الطرد من قريتهم!.

وحين لم يعد هناك أمل فى صلاح حالهم، وتخليهم عن آثامهم وشرورهم، كان لابد أن يحيق بهم عذاب الله عز وجل، وتدميرهم، وتطهير الأرض من رجسهم وفسادهم.

وذهبت الملائكة لتنفيذ الأمر الإلهى، وقبل أن تدمر سدوم بمن فيها من المفسدين، أخبرت إبراهيم عليه السلام بالأمر، فأبدى إبراهيم عليه السلام خشيته وقلقه على ابن أخيه لوط عليه السلام، فطمأنته أنه سينجو هو ومن آمن معه، إلا امرأته التى كانت مثل بقية أهل سدوم، تحب الفاحشة وتحرض عليها.

قال تعالى: (وَإِنَّ لُوطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ. إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ. إِلاَّ عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ. ثُمَّ دَمَّرْنَا الآخَرِينَ. وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ. وَبِاللَّيْلِ أَفَلا تَعْقِلُونَ) {سورة سالصافات: 133-138}.

وقال تعالى: (يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ) {سورة هود: 76}.

وهكذا.. فى اليوم الموعود.. سلط الله على سدوم زلزالاً شديداً زلزل أركانها وجعل عاليها سافلها!.

قال تعالى: {فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ } (سورة هود: 82).

شعيب عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ. فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ .

صدق الله العظيم

{العنكبوت: 36-37}.

كانت "مدين" قبيلة من قبائل العرب مثلها مثل "عاد" و"ثمود" أنعم الله ﷻ عليها فأكثر من نسلهم بعد أن كانوا قلة، وزادهم قوة فى أبدانهم وصحة، وبارك لهم فى أرزاقهم وثمارهم.

إلا أنهم بدلاً من أن يتوجهوا بالشكر لله، وبدلا من أن يعبدوه مخلصين له الدين، أطاعوا الشيطان، وعبدوا "الأيكة"، وهى شجرة كبيرة وارفة الظلال.. كانوا يسجدون لها من دون الله ﷻ.

وكانت "مدين" تسكن أرضاً تقع على طريق القوافل التجارية بين الحجاز والشام، وكانت تلك القوافل تمر عليها ليلاً ونهاراً.. وكان أهل مدين يجلسون فى الطريق ينتظرون مرور القوافل، فيهجمون عليها وينهبونها.

والأكثر من ذلك كانوا إذا باعوا شيئاً ووزنوه لغيرهم لا يعدلوا فى ميزانهم؛ فيعطونهم أقل من حقهم (يطففون الميزان). وإذا اشتروا شيئاً من غيرهم، أخذوا أكثر من حقهم.. كانوا باختصار لا يعدلون فى ميزانهم أو فى كيلهم.. ولا يعنيهم إن كان ما يكسبونه حلالاً أم حراماً!

إلى أن بعث الله ﷻ فيهم نبياً منهم هو: شعيب عليه السلام. دعاهم إلى عبادة الله وحده.. ونهاهم عن عبادة "الأيكة".. وأمرهم بالعدل ونهاهم عن الظلم وعن قطع الطريق والاعتداء على الناس ونهبهم بغير الحق، والاكتفاء بالحلال عن الحرام.

إلا أنهم أعرضوا عنه، ولم يقبلوا دعوته وازدادوا صلفاً وغروراً وقالوا له:

لن نعبد إلا "الأيكة" التى وجدنا أبانا لها عابدين، ولن نغير من طريقتنا فى الوزن أو الكيل، فهذا حقنا وهذا ما تعودناه: نعطى أقل، ونأخذ أكثر! فقال لهم:

{وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلاَ تَبْخَسُواْ النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ وَلاَ تَعْثَوْاْ فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ} سورة هود 85..

وبين لهم أن المال الحرام يغضب الله ﷻ، فينزع منه البركة، ويصبح صاحبه بعد قليل فقير لا مال معه، ولا غنى له، وفى الآخرة يلقى العذاب فى النار.

وحببهم شعيب عليه السلام فى المال الحلال، الذى يبارك الله فيه ولو كان قليلاً..

فلم يزدهم كلام "شعيب" عليه السلام، إلا استهزاء وسخرية وعناداً.

فذكرهم "شعيب" عليه السلام، بمن سبقوهم فى كفرهم بالله قوم نوح عليه السلام وقوم عاد وثمود وقوم صالح وقوم لوط.. لما كذبوا رسلهم ولم يطيعوا الله عز وجل، أهلكهم ودمرهم، وخلدهم فى العذاب، فى نار جهنم.

فقالوا له:

يا شعيب عليه السلام ما نفهم كثيراً مما تقول، وإنا لنراك فينا ضعيفاً، ولولا أهلك وعشيرتك لرجمناك وما أنت علينا بعزيز، ولنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن إلى ديننا ودين آبائنا.

{قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ} سورة هود 91

{قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ} سورة الأعراف 88

فقال لهم:

أأهلى وعشيرتى أعز عليكم من الله.. أعملوا ما شئتم، ولسوف يأتيكم من الله عذاب شديد.. وانتظروا.. إنى معكم من المنتظرين.

{قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ} سورة هود 92

وانتظر شعيب عليه السلام ومعه القلة القليلة التى اتبعته وآمنت بالله، العذاب الذى سيحيق بالكافرين من أهل مدين..

وأذن الله عز وجل بالعذاب، فأصاب مدين حر شديد، سبعة أيام، انعدم فيها الماء البارد الذى يروى عطشهم، كما انعدمت نسائهم الهواء العليل التى يتنفسونها، وانعدمت كذلك الظلال التى يحتمون بها من الشمس المحرقة.وشوت أبدانهم الحرارة الشديدة، ونفقت أنعامهم، واحترقت كل زروعهم، فتركوا ديارهم وخرجوا للعراء والأرض الخلاء يلتمسون النجاة، فأرسل الله عز وجل سحابة سوداء، تجمعوا تحتها، بعد أن ظنوا أنها منقلة

بماء المطر. وإذا بالمطر الذى ينتظرونه من تلك السحابة، نار حامية وشرر شديد ينزل عليهم ويحرقهم. وإذا بالأرض تتزلزل من تحت أقدامهم فيموتوا أجمعين.

قال ﷻ: (فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ) {الشعراء: 189}.

ولما رأى شعيب ﷺ ما حل بقومه، أهل مدين، أعرض عنهم وهو حزين لموقفهم منه، ولكنه تذكر كفرهم بالله فانصرف وهوي قال: (يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ).
{سورة الأعراف: 93}.

إسحق ويعقوب عليهما السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

(وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الأَيْدِي وَالأَبْصَارِ .إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ .وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الأَخْيَارِ) .

صدق الله العظيم

{سورة ص: 45-47}.

كان من نسل إبراهيم عليه السلام فرعان إسماعيل عليه السلام أبو العرب، ومنه جاء خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ. أما الفرع الثانى فهو إسحاق عليه السلام أبو اليهود والمسيحيين.

وكان إسحاق عليه السلام خير خلف لخير سلف، فقد ذكره القرآن بقوله: (إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ) {سورة الحجر: 53}.

وتحدث عن نبوته بأنه نبى من الصالحين (وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ) {سورة الصافات: 112}.

وأخبرنا القرآن الكريم بأن الله بارك عليه (وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ) {سورة الصافات: 113}.

ولقد قام إسحاق عليه السلام بمهمته خير قيام حين حمل أعباء النبوة.. ووضعت زوجة إسحاق "يعقوب" أبو إسرائيل. وقد أشار القرآن الكريم إلى يعقوب والأسباط الأثنى عشر. والسبط من اليهود كالقبيلة من العرب.

يقول الله ﷻ: (وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا) {سورة الأعراف: 160}.

وعندما كبر إسحاق عليه السلام، وقارب أن يلقى ربه، كان يعقوب مؤهلاً لحمل الرسالة من بعده.

قال تعالى: (وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ) {سورة هود: 71}.

وقد أشار القرآن الكريم إلى قصة يعقوب عليه السلام، من خلال حديثه عن يوسف عليه السلام وإخوته فى سورة يوسف.

وتقول كتب التاريخ، إن يعقوب عليه السلام ارتحل من أرض فلسطين إلى العراق، وهناك تزوج من "ليئة" ثم "راحيل"، وعاد بهما إلى فلسطين.

وبارك الله ﷻ ليعقوب عليه السلام فى ذريته، فكانوا كلهم ذكوراً.. تسعة من "ليئة"، واثنان من "راحيل" هما "يوسف" و"بنيامين".

وكانت لراحيل أم يوسف عليه السلام فى نفس يعقوب عليه السلام مكانة خاصة، ولكنها سرعان ما تركت ولديها ورحلت عن الدنيا، وذهبت للقاء ربها، فتولت "ليئة" رعايتهما. وكان يعقوب يؤثرهما بحبه.

ولما رأى أخوه يوسف عليه السلام زيادة عطف أبيهم عليه، وميله إليه أكثر منهم، أضمروا له الشر حسداً وحقداً.. وكان ما كان منهم وتآمرهم عليه، وتفصيله فى قصة يوسف عليه السلام.

يوسف عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

(إِذْ قَالَ يُوسُفُ لأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ. قَالَ يَا بُنَيَّ لاَ تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ) .

صدق الله العظيم

{سورة يوسف: 4-5}.

وهب الله إبراهيم عليه السلام إسماعيل وإسحق عليهما السلام، ثم رزق إسحق عليه السلام يعقوباً عليه السلام، ورزق يعقوب عليه السلام اثنى عشر ولداً من بينهم يوسف عليه السلام.

وذات ليلة، رأى يوسف عليه السلام فى منامه - وهو صغير، أن أحد عشر كوكباً والشمس والقمر يسجدون له، فحكى ما رأى لأبيه يعقوب عليه السلام، فعرف يعقوب عليه السلام أن أبنه يوسف عليه السلام سينال منزلة عالية بحيث يخضع له إخوته، فأمره أن يكتم رؤياه ولا يقصها على إخوته، حتى لا يحسدوه ويؤذوه.

وكان إخوة يوسف عليه السلام يلاحظون أن أباهم يعقوب عليه السلام يختص يوسف وأخاه بنيامين، أبنى زوجته راحيل، التى ماتت وتركتهما صغيرين، بنصيب أكبر من رعايته، ويؤثرهما بحب شديد، دونهم جميعاً، ولهذا كانوا يحسدونهما، ويختصون يوسف عليه السلام بحسدهم الأكبر.

وفى أحد الأيام اجتمعوا وقال أحدهم: (اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ) {سورة يوسف: 9}.

وهنا صاح أحدهم، وكان أكبرهم وأعقلهم:

- إن القتل لا يقره العقل، ويأباه الدين، ويوسف غلام برئ، لم يجن إثماً، ولم يرتكب جرماً، ولكن إذا كنتم مجتمعين وعاقدين العزم على إبعاده والتخلص منه، فألقوه فى البئر الذى ببيت المقدس، فتأخذه قافلة من القوافل التى تمر هناك وتذهب به إلى مكان بعيد.

ووافقوا على اقتراح أخيهم، وذهبوا إلى أبيهم يعقوب عليه السلام، وطلبوا منه أن يترك لهم يوسف عليه السلام ليلعب معهم، فخاف يعقوب عليه السلام على يوسف عليه السلام أن يصيبه أذى أو يهملوه فيأكله الذئب، فأخبروه أنهم سوف يرعونه ويحفظونه، فوافق يعقوب عليه السلام بعد أن رأى عزمهم على أن يرعوه ويحفظوه.

{قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ. قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَّخَاسِرُونَ} (سورة يوسف 13، 14)

وأخذ أخوه يوسف آخاهم، وخلعوا عنه قميصه، ثم ألقوه في البئر، ولطخوا قميصه بالدم، وذهبوا في المساء إلى أبيهم وهم يبكون ويتظاهرون بالحزن، ويقولون:

- يا أبانا.. لقد ذهبنا نتسابق، وتركنا يوسف عند ثيابنا يحرسها، فلما رجعنا إليه، وجدنا الذئب قد أكله.

{قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ} (سورة يوسف17)

سمع يعقوب‌عليه السلام كلامهم وقلبه يتألم على يوسف‌عليه السلام، وقد تيقن بأنهم يكذبون، وأن الأمر لا يعدو أن يكون مكيدة، كادوها، فقال لهم:

(بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ) {سورة يوسف: 18}.

وفى البئر، أنزل الله ﷻ السكينة والاطمئنان على قلب يوسف‌عليه السلام. ومرت بالبئر قافلة مسافرة إلى مصر، وذهب رجل منها إلى البئر ليحضر ماء، فلما ألقى الرجل الدلو فى البئر تعلق به يوسف‌عليه السلام، ولما رآه فرح به واعتبره بشرى عظيمة وخير كبير، فأخرجه من البئر، وأخذه معه.

ورحلت القافلة ومعها يوسف‌عليه السلام إلى مصر، وفى مصر، باعوه، والذى اشتراه عزيز مصر، الذى كان وزيراً على خزائنها.

رأى عزيز مصر فى يوسف‌عليه السلام علامات النجابة والأصل الكريم، فأمر امرأته أن نكرمه وتحسن إليه. وفى قصر عزيز مصر، عاش يوسف عليه السلام ، متمتعاً برعاية العزيز وزوجته، وإحسانهما، حتى كبر وأصبح شاباً قوياً.

وكان يوسف‌عليه السلام شديد الجمال، قوى الجسم، نظرت إليه امرأة العزيز، فأعجبت به وأحبته، وتزينت له لتغريه بجمالها، لكن يوسف‌عليه السلام أعرض عنها وغض البصر عن محاسنها.

فانتظرت امرأة العزيز خروج زوجها من القصر، فهيأت نفسها، وأغلقت الأبواب، وتعرضت ليوسف‌عليه السلام تريد منه أن يعصى الله‌ﷻ، فرفض بشدة، وقال لها: (مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ) {سورة يوسف: 23}.

ورفض أن يفعل معها الفاحشة، حتى لا يعصى الله ﷻ، ولا يخون زوجها الذى أحسن إليه ورباه.

لكن امرأة العزيز أصرت على موقفها، فأسرع يوسف عليه السلام إلى الباب ليخرج منه، فأمسكت بثيابه، فقطعتها من الخلف، وفتح يوسف عليه السلام الباب، فإذا بالعزيز أمامه، فأسرعت امرأته تتهم يوسف عليه السلام، وتقول:

﴿مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ {سورة يوسف: 25}.

فأسرع يوسف عليه السلام ينفى التهمة عن نفسه: ﴿قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي﴾ {سورة يوسف: 26}.

وشهد شاهد من أهل امرأة العزيز وقال:

إن كان قميص يوسف عليه السلام قطع من الأمام، فهى صادقة وهو كاذب، أما إذا كان قميصه قطع من الخلف، فهى كاذبة وهو صادق.

فلما أى العزيز رأى أن القميص قطع من الخلف، أدرك أن زوجته كاذبة، وأن يوسف عليه السلام صادق، فأمره أن لا يذكر ما حدث لأحد، وقال لزوجته:

﴿وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾ {سورة يوسف: 29}.

وشاعت قصة يوسف عليه السلام مع امرأة العزيز فى المدينة، وسمع النساء بما حدث، وصارت امرأة العزيز وما فعلته حديثهن المفضل، وكثر تهكمهن وسخريتهم بها، فدبرت امرأة العزيز لهن حيلة كى يرين يوسف عليه السلام، فيلتمسن لها العذر، فدعتهن إلى قصرها وأجلستهن على الفراش الوثير، وأعطت لكل واحدة منهن سكيناً يقطعن بها الفاكهة التى قدمتها لهن، ثم أمرت يوسف عليه السلام أن يدخل عليهن، فلما شاهدنه انبهرن بجماله، وقطعن أيديهن بالسكين، دون أن يشعرن بذلك ﴿وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ {سورة يوسف: 31}.

عندئذ قالت لهن امرأة العزيز:

هذا هو الفتى الذى تعجبتن من تعلقى به، ولقد حاولت إغراءه، فامتنع، وإن لم يفعل ما آمره فسوف أسجنه.

ولم يتأثر يوسف عليه السلام بتهديدها ولا بإغرائها، وتوجه إلى الله ﷻ يدعوه أن يصرف عنه كيد النساء، وقال:

(رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ) {سورة يوسف: 33}.

وخوفاً من الفتنة وانتشار الشائعات، دخل يوسف عليه السلام السجن - بأمر من العزيز، وفى السجن كان معه رجلان، أحدهما كان ساقياً للملك، والآخر كان خبازاً يصنع الخبز للملك.

وفى إحدى الليالى، رأى كل من الخباز والساقى حلماً، فأسرعا إلى يوسف عليه السلام، وأخبره الساقى أنه رأى نفسه يعصر عنباً، أما الخباز فقد رأى أن على رأسه خبزاً تأكل منه الطير، وطلبا من يوسف عليه السلام أن يفسر لهما ما رأياه.

فأغتنم يوسف عليه السلام هذه الفرصة، وأخذ يدعوهم إلى الله عز وجل،ويبين لهم مغبة الكفر والشرك بالله، ثم فسر للأول رؤياه بأنه سوف يخرج من السجن، ويعود ساقياً للملك كما كان، وأما الثانى فسوف يصلب وتنهش الطيور الجارحة لحمه، ثم طلب من الساقى بعد أن يخرج من السجن، أن يذكر قصته عند الملك، وأن يذكره بأنه فى السجن بريئاً ومظلوماً.

وعاد الساقى إلى الملك، لكنه نسى أن يذكر له يوسف عليه السلام، أو يذكره بحكايته، لذلك ظل يوسف عليه السلام بالسجن سنين عديدة.

إلى أن كانت إحدى الليالى التى رأى فيها الملك فى منامه سبع بقرات ضعيفات هزيلات يأكلن سبع بقرات سمان، ورأى سبع سنابل يابسات جافات، وسبع سنابل خضر مكتنزات بالحبوب، ففزع الملك من هذه الرؤيا، ودعا إليه رجال الدولة، وطلب منهم تفسير ما رأى، فعجز الجميع عن التفسير، وقالوا إنها مجرد أوهام وأحلام لا تدل على شئ!.

وعندما سمع الساقى ذلك، تذكر يوسف السجين، وكيف أنه كان يفسر الأحلام بحكمة وصواب، فاستأذن من الملك ليذهب إليه فى السجن ويسأله فى تفسير رؤيا الملك.

ذهب الساقى إلى يوسف عليه السلام فى السجن، وقال له:

(يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ) {سورة يوسف: 46}.

ففسر له يوسف الرؤيا بأنه سوف تأتى على مصر سبعة أعوام كلها خير ونماء وخصوبة، ثم تأتى بعدها سبع سنوات ينتشر فيها الجدب والجفاف وتقل الثمرات، ثم يأتى عام يغمر الناس فيه المطر، فينتشر الخير، ونصحهم يوسف بأن يزرعوا فى الأعوام السبع الخصبة، ويوفروا مما يحصدون بقدر الإمكان، استعداداً لسنوات القحط والجفاف.

وذهب الساقى بتفسير الرؤيا إلى الملك، فأدرك الملك مدى حكمة يوسف وعلمه، فأمر بإحضاره، ليضمه إلى أعوانه ومستشاريه فى الحكم.

وعندما ذهب رسول الملك ليطلب من يوسف المثول أمام الملك رفض يوسف أن يخرج من السجن، حتى تظهر براءته مما أثير حوله فى قصة امرأة العزيز، وقال للرسول:

(ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ) {سورة يوسف: 50}.

ولما علم الملك برغبة يوسف تلك، أمر بإحضار النساء، وسألهن عن تلك الواقعة، فشهدن بالحق، وظهرت براءة يوسف، واعترفت امرأة العزيز، قالت:

(الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ) {سورة يوسف: 51}.

فلما ظهرت براءة يوسف أمام الملك أمر بإحضاره من السجن عزيزاً مكرماً وجعله وزيراً له على خزائن البلاد.

تولى يوسف المسئولية، وفاض النيل بالماء، وأنتجت الأرض محصولاً وفيراً، وعم الخير، وانتشر الرخاء سبعة أعوام، حتى جاءت سنوات القحط والجفاف التى امتدت من مصر إلى بلاد كنعان (فلسطين) حيث يعيش أخوة يوسف.

وفى أحد تلك السنين، جاء إخوة يوسف عليه السلام إلى مصر ليبيعوا ما معهم من بضاعة ويشتروا بثمنها قمحاً.

ودخل إخوة يوسف عليه السلام عليه يطلبون منه القمح، فعرفهم لكنهم لم يعرفوه، ولم يتوقعوا أن الطفل يوسف الصغير الذى ألقوه فى البئر قد أصبح رجلاً وأصبح وزيراً لمصر.

ولما اشتروا القمح ودفعوا ما معهم من بضاعة ثمناً له، طلب يوسف عليه السلام أن يحضروا معهم فى المرة القادمة أخاهم من أبيهم (وهو بنيامين، أخو يوسف الشقيق) ثم أمر خدمه أن يردوا إلى إخوته بضاعتهم، ويدسوها فى أمتعتهم، حتى يظنوا بوزير مصر خيراً، فيعودوا مرة ثانية إليه ومعهم أخوهم بنيامين.

رجع إخوة يوسف عليه السلام إلى أبيهم وأخبروه أن الوزير لن يكيل لهم، ولن يعطيهم القمح مرة ثانية إلا إذا كان معهم أخوهم بنيامين.

فتذكر يعقوب عليه السلام ما كان قد حدث ليوسف عليه السلام، ورفض أن يعطيهم بنيامين، وقال لهم:

(هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلاَّ كَمَا أَمِنتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِن قَبْلُ) {سورة يوسف: 64}.

ولما فتح إخوة يوسف عليه السلام أمتعتهم، وجدوا بضاعتهم التى أخذوها معهم لكى يشتروا بثمنها قمحاً، فأخبروا أباهم، وألحوا عليه فى اصطحاب أخيهم بنيامين، وأعطوه عهداً بالمحافظة عليه، وإعادته سالماً، فاطمأن يعقوب عليه السلام، وتركهم يأخذوه معهم إلى مصر.

وسافر إخوة يوسف عليه السلام إلى مصر، ومعهم أخوهم (بنيامين) ودخلوا على يوسف عليه السلام، وكان يوسف عليه السلام قد دبر حيلة ليحتفظ بأخيه بنيامين إلى جواره فى القصر، فأخبره يوسف عليه السلام بحقيقته، وأعطاهم القمح الذى طلبوه، ثم وضع مكيال الملك فيما سيحمله من الأمتعة وهو راحل وحينئذ نادى المنادى بأن مكيال الملك قد سرق.

وكان عقاب السارق آنذاك أن يصبح عبداً للمسروق منه، ففتشوا أمتعتهم واستخرجوا المكيال من أمتعة بنيامين، فقضى بأن يحتفظ يوسف عليه السلام ببنيامين ويستبقيه معه.

ففزع الإخوة، إذ كيف يرجعون إلى أبيهم بدونه، وقد عاهدوه على أن يعود معهم مثلما ذهب معهم، وطلبوا من يوسف عليه السلام أن يأخذ أحدهم بدلاً منه، خصوصاً وقد أصر أخوهم الأكبر على ألا يعود معهم ويواجه أباه بدون أخيه بنيامين.

إلا أن يوسف عليه السلام رفض ما عرضوه وقال:

(مَعَاذَ اللهِ أن نَّأْخُذَ إِلاَّ مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِندَهُ إِنَّا إِذًا لَّظَالِمُونَ) {سورة يوسف: 79}.

ولما يئسوا منه رجعوا، وكانوا لا يعرفون أن الذى يحدثهم هو أخوهم يوسف عليه السلام، ولما أخبروا أباهم بما حدث، لم يصدقهم، وقال لهم:

(بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ) {سورة يوسف: 83}.

وتذكر يعقوب عليه السلام ما أصاب يوسف من قبل، فبكى بكاء شديداً حتى عميت عيناه، فأخذ أبناؤه يواسونه حتى يرحم نفسه من البكاء والحزن، فقال لهم:

(إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ) {سورة يوسف: 86}.

ثم طلب منهم أن يرجعوا مرة ثانية إلى مصر، فيبحثوا عن يوسف عليه السلام وأخيه، وقال لهم:

(يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلاَ تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللهِ إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ) {سورة يوسف: 87}.

وذهبوا إلى مصر، ودخلوا على يوسف عليه السلام - وهم مازالوا لا يعرفونه - وطلبوا منه أن يحسن إليهم ويتصدق عليهم. وعندها كشف يوسف عن نفسه وقال:

(هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ) {سورة يوسف: 89}.

فأدركوا أنه يوسف عليه السلام، فسألوه متعجبين:

(أَإِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ) {سورة يوسف: 90}.

قال يوسف عليه السلام لهم: (أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ) {سورة يوسف: 90}.

وهنا علت الدهشة وجوههم، وظهرت عليهم علامات الخجل والندم، وأخذوا يعتذرون ويطلبون من يوسف عليه السلام أن يعفو عنهم، فعفا عنهم.

وعندما علم يوسف عليه السلام بحال أبيه يعقوب عليه السلام، فأعطاهم قميصه، وقال لهم:

(اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ) {سورة يوسف: 93}.

وخرجوا من مصر، وتوجهوا إلى أبيهم، وقبل أن يصلوا إليه قال يعقوب عليه السلام لمن حوله:

(إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَن تُفَنِّدُونِ) {سورة يوسف: 94}.

وعندما وصلوا، ودخل البشير عليه بقميص يوسف عليه السلام، وألقاه على وجهه، عاد إليه بصره، فقال لهم:

(أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ) {سورة يوسف: 96}.

فقال أبناؤه:

(يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ) {سورة يوسف: 97}.

فاستغفر لهم يعقوب عليه السلام. ثم توجهوا جميعاً إلى مصر، فاستقبلهم يوسف عليه السلام، وأنزل والديه منزلة كريمة، وطلب منهم أن يقيموا فى مصر آمنين.

فسجدوا جميعاً ليوسف عليه السلام سجود تحية وإكبار.

وهكذا تحققت رؤيا يوسف عليه السلام، فقال لأبيه يعقوب عليه السلام:

(يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا) {سورة يوسف: 100}.

ثم توجه يوسف إلى الله بالشكر والثناء قائلاً:

(رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ) {سورة يوسف: 101}.

أيوب عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

(وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ) .

صدق الله العظيم

{سورة الأنبياء: 84}.

سمع إبليس اللعين حديث الملائكة عن أيوب عليه السلام، وكيف أن الأرض ليس عليها من هو أعبد لله منه.. فأيامه كلها عبادة لرب العالمين، وشكر له على ما رزقه به.

وساء إبليس ما سمع، فعقد عزمه على أن يغويه، ويزين له الدنيا ويرهده فى عبادة الله ﷻ، ولكنه لما اقترب منه، وسوس إليه من وراء أذنه، لم يجد إلا إذناً صماء، وقلباً مغلقاً عن الهوى والمعصية، ووجده من عباد الله المخلصين، الذين ليس له عليهم سلطان. فحزن حزناً شديداً، ورجع إلى الله ﷻ، ووقف منه الموقف الذى كان يقفه منه قبل أنى طرده من رحمته، قال:

يا رب.. عبدك أيوب الذى يعبدك ويقدسك، ويهتف قلبه بذكرك، ويلهج لسانه بتسبيحك، ما يعبدك تطوعاً من نفسه أو دونما مقابل، وإنما يعبدك فى مقابل ما أنعمت به من مال وبنين، وطمعاً فى أن تبقى له على ماله وتحفظ له ما أسبغت عليه من نعم.. فأحرمه يارب من هذه النعم وجرده من المال والبنيين لتراه وقد خرس لسانه عن ذكرك، وأعرض عن طاعتك.

فقال الله ﷻ:

إن أيوب عبد مؤمن خالص الإيمان لا يعبدنى إلا لما يراه من حق العبادة، ولا يذكرنى إلا لما يعرفه من حق الذكر، عبادة وذكر مجردان من حب الدنيا، وبريئان من المطامع والأعراض.

ولكى يكون أيوب قبساً وهاجاً فى الإيمان، ومثلا عالياً فى الصبر واليقين فقد أبحتك ماله وما أنعمت به عليه، أفعل به ما تريد، ثم أنظر إلى ما تنتهى إليه.

فانطلق إبليس، وجمع الشياطين من شيعته وأوليائه، ونجحوا فى إهلاك ثروة أيوب، وجعله صفر اليدين.

ثم تمثل إبليس لأيوب شيخاً حكيماً وقال له:

إن النار قد أتت على ثروتك وذهب مالك، وتخلى عنك ربك الذى تعبده ويلهج لسانك بذكره.

وظن إبليس أنه بذلك سيزحزح أيوب عليه السلام عن إيمانه، ولكن أيوب عليه السلام كان أقوى إيماناً وأشد يقيناً بأن الله عز وجل لن يتخلى عنه، قال:

الثروة التى أتت عليها النار، كانت وديعة عندى استردها الله، بعدما نعمنا بها دهراً، فلله الحمد معطياً وسالباً، راضياً وساخطاً، نافعاً وضاراً، هو مالك الملك، يؤتى الملك من يشاء، وينزع الملك ممن يشاء، ويعز من يشاء، ويذل من يشاء.

ثم خر لله ساجداً، وترك إبليس خزيان ينظر بحسرة!.

ورجع إبليس إلى الله عز وجل خائباً وحاول أن ينسج للشر ثوباً جديداً.

قال للمولى عز وجل:

يا رب إن أيوب، وإن كان لم يقابل زوال النعمة وما حل به من مصيبة بالصبر، فما ذلك إلا لأنه يطمع فى أن يشتد عوده ويعود إليه ما ذهب من ماله وثروته بفضل أبنائه الكثيرين المحيطين به، فسلطنى يا رب عليهم، أفعل بهم ما يكره، وساعتها سيصير أشد ما يكون كفراً ومعصية، فلا أشد من فتنة الولد ولا أدعى لنفاذ الصبر من الفجيعة فيهم.

فأجابه الله عز وجل:

لقد سلطتك على ولده، ولكنك لن تنقص ذرة من إيمانه ولن يفقد قطرة واحدة من صبره وعزمه.

وانطلق إبليس، وجمع إليه شياطينه وكل من هم من شيعته، وأحكموا تدبيرهم، وذهبوا إلى حيث يقيم أبناء أيوب فى قصرهم المنيف، وزلزلوه حتى تصدع بنيانه وسقطت حيطانه فوق رؤوسهم وهلكوا جميعاً تحت انتقاضه.

ثم ذهب إبليس إلى أيوب عليه السلام، وتمثل له فى صورة رجل يواسيه وقال له: أرأيت بعدما فنى كل أبناءك!.. إن الله لم يكافئك على عبادتك وعلى ذكرك، ولم يرعك حق رعايتك.

فبكى أيوب عليه السلام، وقال:

الله أعطانى، والله أخذ منى.. فسبحانه وتعالى، له الحمد معطياً وآخذاً، ساخطاً وراضياً.. نافعاً وضاراً.

ثم خر لله ساجداً، وترك إبليس يكاد يتمزق من الحنق والغيظ..

ورجع إبليس مرة أخرى إلى الله ﷻ، وقال:

- يا رب.. لقد ذهب المال عن أيوب، كما ذهب عنه أولاده، ولكنه لا يزال بصحة وعافية، ولا يزال يعبدك أملاً فى أن يعود ماله ويعود ولده، فسلطنى على جسمه، ورخص لى فى أن أنال من عافيته، وأنا واثق أنه لو مسه الداء وأنهكه المرض، فسيهمل عبادتك، ويخلع ثوب طاعتك، وينشغل بأسقامه عن ذكرك.

فأراد الله ﷻ أن يجعل من أيوب عليه السلام على مدى الدهر المثل الأعلى فى الإيمان بالله والصبر على المكاره، وأن تكون قصته عبرة للصابرين، وعزاء للمكروبين، لذلك قال لإبليس: لقد سلطتك على جسده، ولكن حذار أن تقترب من روحه ولسانه وعقله وقلبه، فهما سر إيمانه ومظهر دينه وعرفانه.

وذهب إبليس، وجمع أعوانه، ودبروا أمرهم فى الكيد لأيوب عليه السلام والتسلط عليه، حتى نجحوا فى إصابته بالمرض الشديد. ولكن أيوب عليه السلام كان كلما ازداد عليه المرض، ازداد صبراً وشكراً لله، وازداد إيمانه ويقينه بالله الواحد القادر على كل شئ.

ومرت الأيام والسنين وازداد المرض شدة، حتى هزل جسد أيوب عليه السلام وأصبح جلداً على عظم، وفر من حوله الصديق، وجانبه الرفيق، ولم يعد حوله أحد إلا زوجته التى ظلت إلى جانبه، تحنو عليه وترعاه، حامدة راضية، مؤمنة محتسبة.

أما إبليس فقد أعياه أمر أيوب عليه السلام.. فرغم كل ما أصابه لم يفتر لسانه عن ذكر الله ﷻ، ولم يتزعزع قلبه عن الإيمان بالله.

قال له أحد الشياطين:

- أين مكرك وحيلتك.. هل بطل كل ذلك ولم يفلح مع أيوب؟!.. لقد أخرجت آدم أبا البشر من الجنة، فكيف فعلت ذلك؟.. ومن أين أتيته؟.

- أتيته من زوجته.. حواء.

فقال له شيطانه: - عليك بها إذن!.

وكان إبليس ينساها.. ومن فوره ذهب إليها، ووسوس لها من وراء أذنها وقال لها:

- أين زوجك.. أين من كان يدعى أيوبعليه السلام.. أهو ذلك الراقد على فراشه، لا هو ميت فينعى، ولا هو حى فيرجى.. أين ذهب شبابه وأين ذهبت صحته وعافيته والنعمة الضافية التى كانت لكما؟!.. هل تخلى عنه ربه؟!.

ونجح إبليس فى أن يثير لديها كوامن الأحزان، حتى أدركها الضجر، وانساب إلى قلبها اليأس. فذهبت إلى أيوبعليه السلام وقالت:

- حتى متى يعذبك الله؟!.. أين المال.. أين العيال.. أين الصديق.. أين شبابك وعزك القديم؟!!

فقال لهاعليه السلام:

- لقد سول لك إبليس أمراً؟.. أراك تبكين على عز قد فات وولد قد مات. بل أراك تقنتين من رحمة الله!.

قالت: - هلا دعوت الله أن يكشف حزنك ويزيح البلاء؟.

قالعليه السلام: - كم مكثت فى الرخاء؟

قالت: ثمانين سنة.

قالعليه السلام: - وكم لبثت فى البلاء؟

قالت: - سبع سنين.

فقالعليه السلام: - استحى أن أطلب من الله رفع بلائى، وما قضيت فيه مثل رخائى!.

ولكن يخيل إلى أنك قد بدأ إيمانك يضعف، وبدأ قلبك يضيق بقضاء الله.. والله الذى لا إله إلا هو لأن عاودتنى قوتى لأضربنك بالسوط. وحرام على بعد اليوم أن آكل من يديك طعاماً أو أشرب شراباً.. فأغربى عن وجهى، حتى يقضى الله أمراً كان مفعولاً.

ولما أصبح أيوب وحيداً. واشتدت آلامه، وزادت عليه وطأة المرض، فزع إلى الله، لا ساخطاً ولا متبرماً، بل داعياً متحنناً.

قال ﷻ: {وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ} (سورة الأنبياء: 83).

فاستجاب الله دعاءه، وأوحى إليه: أن أركض برجلك ينفجر لك نبع الماء، فأشرب منه واغتسل به، تعد إليك صحتك، وترد إليك قوتك.

وما أن شرب واغتسل بالماء، حتى عادت صحته وردت إليه قوته.

وكانت امرأته قد رق قلبها له، ولم تطاوعها نفسها الكريمة أن تتركه وشأنه، وقد لازمته ولم تفارقه منذ اليوم الأول لمرضه، فعادت إليه، فرأت عجباً: رأت شاباً مكتمل الشباب، وافر الصحة والعافية، فعانقته، وحمدت الله وسجدت له شكراً على الصحة التى أنعم بها مرة ثانية على زوجها أيوب عليه السلام، الذى ما توانى لحظة عن ذكر الله ﷻ، وما نفد صبره على ما ابتلاه الله به.

يونس عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

{وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ. فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ} .

صدق الله العظيم

{سورة الأنبياء: 87- 88}.

في قديم الزمان، كانت أمة من الأمم تعيش في قرية كبيرة تدعى "نينوى" بأرض العراق.. وكانت تلك الأمة تربو على المائة ألف، كما أخبرنا القرآن الكريم.

وقد أنعم الله على هذه الأمة بأرض خصبة فيها من كل الثمرات وكل ما تشتهى العيون من خيرات، إلا أنهم نسوا الله رب العالمين، وبدلاً من أن يعبدوه ويشكروه على ما أنعم به عليهم؛ عبدوا الأصنام. فأرسل الله إليهم رسولاً من بينهم، يعلمهم، ويهديهم ويرشدهم، ويخرجهم من ظلمات الجهل وعبادة الأصنام إلى نور التوحيد والإيمان بالله الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذى لا شريك له.. ذلك هو نبى الله: يونس عليه السلام.

قال لهم:

ما هذه الأوثان التى تعبدونها وتسجدون لها، إنها لا تنفع ولا تضر.. أنعموا النظر فيما حولكم وشغلوا عقولكم وتبصروا فى أنفسكم، وتدبروا ستجدوا أن وراء هذا الكون البديع إلهاً كبيراً، فرداً، صمداً، جدير وحده بالعبادة والتقديس.. وقد أرسلنى لأهديكم وأدلكم عليه وأرشدكم إليه، بعد ما ران الجهل على قلوبكم وغشى أبصاركم، فتركتم عبادته وعبدتم أصناماً لا تملك لنفسها حولاً ولا قوة.

فدهش الناس من قوله.. إذ كان قولاً جديداً على أسماعهم، لم يألفوه من قبل. وكبر عليهم أن يروا واحداً منهم، بل من عامتهم ينصب نفسه رسولاً إليهم وهادياً لهم.

قالوا له: ما هذا الكلام الغريب الذى تقوله وتدعيه؟ وكيف تنكر علينا عبادة أصنام عبدها آباؤنا وأجدادنا من قبل؟ وتدعونا إلى عبادة جديدة، وإله جديد، تقول إنه خالق كل شئ، ومدبر كل شئ؟!

فقال لهم:

- ارفعوا عن عيونكم غشاوة التقليد، وفكروا وتدبروا قليلاً. أهذه الأصنام والحجارة التى تتوجهون إليها فى صباحكم ومسائكم، تجلب لكم نفعاً، أو تستطيع أن تدفع عنكم شراً! أهى قادرة على أن تخلق شيئاً أو تحيى ميتاً أو تشفى مريضاً. ثم ما لكم تعرضون عن هذا الدين

الـذى أدعـوكم إليـه، وهـو يـأمركم بمـا فيـه صـلاح أمـوركم واسـتقامة أحوالكم، ويأمركم بالمعروف وينهـاكم عـن المنكـر، وينشـر بيـنكم الأمـن والسـلام، ويحثكم على العطف على المسكين، وإطعام الجائع والفقير.

فلم يظفر منهم "يونس" ﷺ، إلا بجواب الجاهلين، وبعنـاد الكـافرين.. ولم يستجيبوا لما يدعوهم إليه.

فقال لهم:

- لقـد دعـوتكم وجـادلتكم بـالتى هـى أحسـن، فـإن كانـت دعـوتى لا تلقى قبولاً لـديكم، فـإنى أنـذركم عـذاباً وبـلاءً مـن عنـد الله، ينـزل بكـم ويهلككم.

فقالوا له:

يا يونس، ما نحن بمسـتجيبين لـدعوتك، ولا خـائفين مـن وعيـدك ومـا تنذرنا به.. وإن كنت من الصادقين فاتنا بما تعدنا!.

ولم يطق يونس ﷺ صبراً، وقطع الأمل فى أن يهتدوا ويسـتجيبوا لمـا يدعوهم إليه، ورحل عنهم، وهو غاضب، أشد الغضب. بعدما ظن أنه قـد قـام بـدوره خيـر قيـام، وأن دعوتـه مقصـورة علـى مـا فعـل، وأنـه يكفـى لإبلاغها ما كان، ولعله لو كان قد استمر فى دعوته وصبر علـيهم، لوجـد فيهم من يؤمن ويستجيب، ولكنه كان متعجلاً فرحل عنهم ليلقـى قضـاء الله، ويتلقى جزاءه.

ولم يكد يونس ﷺ يرحل عن قومه، حتى اشتدت العواصف، وهاجـت الريـاح، وامـتلأ الجـو غبـاراً، وأظلمـت السـماء، وأصـبحت سـوداء كالليـل البهيم.

وهنا أدرك قوم يونس ﷺ، أنه كان من الصادقين، وأن مـا توعـدهم بـه من عذاب وبلاء واقع بهم ومصيبهم. فراحوا يبحثون عنه، ولم يجدوه.

كانوا يودون أن يعلنوا أمامه توبتهم، وأن يشفع لهم عنـد الله ﷻ حتـى يسامحهم ويرفع عنهم العذاب.

ولـم يجـدوا أمـامهم إلا أن يتجهـوا إلـى رب يـونس بالـدعاء لعلـه يسامحهم ويعفو عنهم!.

فخرجوا من ديارهم، ومعهم نساؤهم وأطفالهم وحيواناتهم، وارتفع صراخهم جميعاً، تضرعاً لله ليتوب عليهم، وسمع الله دعاءهم، وقبل توبتهم، وكشف عنهم عذابه، فعادوا سالمين، بعدما آمنوا وأسلموا وجههم لله الواحد الأحد.

أما يونس عليه السلام فقد انتهى به الترحال والمسير إلى شاطئ البحر، وهناك كانت ترسو سفينة، وتوشك أن تقلع فى البحر، فعرض على أصحابها أن يأخذوه معهم، فرحبوا به، وأفسحوا له مكاناً بينهم.

وسارت السفينة فى البحر آمنة هادئة، وهى تحمل ضمن ما تحمل نبى الله يونس عليه السلام.

وفجأة هبت عاصفة قوية، ولعبت الأمواج بالسفينة، وكادت أن تغرقها. فتبادل ركابها النظرات، وقال بعضهم لبعض: فينا من أغضب ربه! واتفقوا على إجراء قرعة فيما بينهم، ومن يقع عليه السهم يلقى به فى البحر، لعلهم بذلك ينجون من الهلاك! .

واقترعوا ثلاث مرات، وفى كل مرة كان السهم يقع على يونس عليه السلام! فعلم يونس عليه السلام أن تلك هى مشيئة الله ﷻ، ولام نفسه أن ترك قومه قبل أن يأذن له الله..

وأسلم أمره لله، وقفز من السفينة، لتتقاذفه الأمواج.

ولكن.. هل يترك الله نبيه للهلاك؟ .

صدر الأمر الإلهى لأحد الحيتان أن يبتلعه ويحافظ عليه فى جوفه حتى يقضى الله أمراً كان مفعولاً.

وراح الحوت يطوف البحار وفى جوفه يونس عليه السلام ،ووجد يونس عليه السلام نفسه فى ظلمات ثلاث: ظلمة البحر بأمواجه المتلاطمة، وظلمة الليل الموحش، وظلمة بطن الحوت.

فأدرك أنه هالك لا محالة، ما لم تدركه رحمة الله.

وراح ينادى ربه÷ ملتمساً نوره ورحمته، ويقول: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ {سورة الأنبياء: 87}.

وشقت كلمات يونس ﷺ، واستغاثته طريقها عبر السماء، ووصلت إلى العرش، فسمعه الله، واستجاب له. وأمر الحوت أن يلقى نبيه يونس ﷺ برفق على الشاطئ.

وانصاع الحوت للأمر الإلهى، ولفظه من جوفه وألقاه على الشاطئ، بكل رفق وحنان!.

وأنبت الله حوله شجرة من يقطين (قرع)، تظلله بظلالها، ويأكل من ثمرها، إلى أن يستعيد حيويته وقوته. ومكث على حاله هذا أياماً، حتى عادت إليه عافيته، فسجد لله شكراً، بعدما أنعم عليه ورضى عنه.

قال ﷻ: (فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ. لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ. فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ. وَأَنبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ. وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ. فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ) {الصافات: 143-148}.

وأوحى له الله، بعدما أنجاه، أن يعود إلى قومه، الذى كان قد يئس من إيمانهم، وهجرهم. فعاد إليهم ليفاجأ بهم. وقد تركوا عبادة الأصنام، وعكفوا على عبادة الله الواحد، الأحد، الفرد، الصمد!.

فأصبح لسان حاله يقول: سبحان مغير الأحوال القادر على كل شئ.

موسى عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

{فَلَمَّا جَاءَهُم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ} .

صدق الله العظيم

{سورة القصص: 36}.

دخل بنو إسرائيل إلى مصر مع جدهم يعقوب عليه السلام.

وفى مصر انتعش حالهم وزادت ثرواتهم، بعدما امتلكوا كثيراً من أراضى الزراعة بها، وبعدما سيطروا على كثير من الصناعات والحرف، التى كانت تدر عليهم أموالاً طائلة، وباتوا هم أكثر الناس غنى فى مصر.

وأحس فرعون - ملك مصر - بالخوف الشديد على ملكه منهم، فراح يستولى على أموالهم وثرواتهم وكل ما يملكون، بل ويضطهدهم ويجعلهم خدماً له وللمصريين، يزرعون الأرض ويبنون المدن.

وذات يوم رأى فرعون فى منامه أن ناراً تخرج من أرض الشام، تحرق بيوت المصريين، كما تحرق قصره ولا تمس بيوت بنى إسرائيل!.

وفسر له المنجمون ما رآه بأن وليداً يولد فى بنى إسرائيل، سيكون زوال ملكة على يديه.

فأصدر فرعون أوامره لجنوده، بأن يفتشوا بيوت بنى إسرائيل، وكل وليد ذكر يعثروا عليه يذبحوه.

وفى بيت عمران، أحد بيوت بنى إسرائيل، كانت زوجة عمران تتهيأ لتضع وليدها.

ولكن كيف سينجو الوليد من الذبح.. وكيف تخفيه عن أعين جنود فرعون.

كانت فى حيرة وقلق بعدما وضعت وليدها.. فأوحى إليها الله، أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه فى اليم (النهر)، ولا تخافى، ولا تحزنى، إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين.

قال عز وجل: {وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ} (سورة القصص: 7).

فأحضرت صندوقاً، ووضعت فيه وليدها، ثم ألقته فى النهر، وأسلمت أمرها لله الذى وعدها بإنقاذه، وإعادته إليها.

وكانت (آسيا) زوجة فرعون واقفة فى شرفة القصر الفرعونى، التى تطل على النيل، وإذا بها ترى صندوقاً يطفو على سطح الماء، ويسير مع التيار، فنادت على جواريها، ليأتوها بالصندوق.

فأسرعت واحدة منهن وأحضرت الصندوق، وفتحته زوجة فرعون وكانت المفاجأة مذهلة: إنه طفل جميل.. وجهه مضئ كالبدر الذى يتوسط السماء ويضيئها.

وبمجرد أن وقعت عيناها عليه، أحبته، وملأ حبه قلبها فأسرعت إلى فرعون زوجها وهى تقول:

قرة عين لى ولك.. لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً (أى أبناً لنا).

قال ﷻ: {وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ } (سورة القصص: 9)

ولكن فرعون كان يريد قتله، فراحت زوجته تتوسل إليه حتى استجاب لها، ووافق على بقائه حياً! .

وأقبلت المرضعات من كل مكان، يحاولن أن يرضعن الطفل، طمعاً فى الأموال التى ستفوز بها من ترضعه. ولكن الطفل الوليد لم يقبل على ثدى واحدة منهن ولا رضى بأى منهن.

فاحتار الجميع فى أمره، وبجوار القصر، كانت أخت الطفل تتسمع الأخبار،بعدما أمرتها أمها بأن تراقب الصندوق وهو يطفوا فوق وجه الماء فى النهر، لترى أين يمضى وأين يستقر.

{وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ } (سورة القصص:11).

فوجدتها فرصة سانحة، فدخلت القصر، وقالت لامرأة فرعون:

هل أدلكم علي أهل بيت يرضعونه ويربونه لكم وهم له ناصحون؟

{وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ } (سورة القصص:12).

ولـم يكـن أمـام امـرأة فرعـون إلا الاسـتجابة والموافقـة، بعـدما رفـض الطفل الوليد كل من جاءت لترضعه. وهكـذا عـاد الطفـل إلـى أمـه مـرة أخرى، بعدما كاد عقلها أن يطير خوفاً عليه، وبعدما كاد قلبها أن يتوقـف، لولا أن ربط الله عليه، فهتفت، بعـدما رأتـه: الحمـد لله!.. لقـد عـاد ولـدى إلى!. وأقبل الطفل الوليـد (الـذى أسـمته آسـيا امـرأة فرعـون موسـى) على ثدى أمه يرضع بكل لهفة.

وسـرعان مـا شـب الصغير عـن الطـوق، وأصبح صـبياً مكتمـل النمـو، فحكت له أمه حكايته وكيف أن الله أنجاه من الموت، فحمـد الله، وسـجد شكراً لله، وأخلص فى عبادته، مع أخيه هارون، وأبيه عمران.

وعاد موسـى عليه السلام، بعدما صار صـبياً ناضـجاً إلـى قصـر فرعـون، وعـاش فيه، وكان بنو إسرائيل يعرفون حكايته، ولذلك كانوا يحبونه.

وبينما كان يمضى ذات يوم بالطريق، إذا به يسمع من يناديه ويقول:

- يا موسـى.. يا موسـى.. انجدنى يا موسـى!

ونظر موسـى عليه السلام، فوجد رجلان يتشاجران، أحدهما من رجال فرعـون، والآخر من بنى إسرائيل (قومه).. وكـان المصـرى علـى وشـك أن يجهـز على اليهودى، فأسرع موسـى عليه السلام لنجدة اليهودى الذى كان يستنجده، وضرب المصرى بيده فى جنبه، وكان المفاجأة: كانت الضربة قويـة حتـى أنها طرحت الرجل قتيلاً، على الأرض.

ورأى موسى القتيل مطروحاً على الأرض أمامه، فقال:

- (هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ) {سورة القصص: 15}.

ثم اتجه إلى الله عز وجل قائلاً:

- (رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي) {سورة القصص: 16}.

وأحس موسى عليه السلام بأن الله تعالى، قد غفر له فقال:

- (رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ) {سورة القصص: 17}.

وصار موسـى بعـدها يمشـى فـى طرقـات المدينـة، وهـو يخشـى أن يفتضح أمره، ويعلم به جواسيس فرعـون وزبانيتـه، الـذين كـانوا بالتأكيـد

يبحثون عن القاتل. إلى أن كان ذات يوم آخر، وإذا بنفس الرجل الذى استنجد به من قبل، يتشاجر مع مصرى آخر، ويستنجد به.

فما أن وقعت عين موسى عليه، حتى قال له:

- إنك لغوى مبين أى مصدر ضلال! ورأى اليهودى الشر فى عينى موسى عليه السلام، واستشعر خوفاً منه فقال له:

- أتريد أن تقتلنى يا موسى كما قتلت الرجل بالأمس، إنك تريد أن تكون جباراً فى الأرض، ولا تريد أن تكون من المصلحين!.

وسمع المصرى ما قاله اليهودى، فذهب سريعاً إلى فرعون وأخبره بما حدث، وبما سمعه. فأصدر فرعون أمره بالبحث عن موسى عليه السلام والإمساك به لقتله، عقاباً له على ما فعل.

إلا أن رجلاً ممن يحبون موسى عليه السلام، سمع بما حدث، وبما يحاك لموسى عليه السلام، فأسرع بالمضى إليه، وقال له:

- يا موسى.. إن فرعون وحاشيته يتآمرون عليك، ويريدون قتلك، فأخرج من البلاد وأذهب بعيداً إنى لك من الناصحين.

فأسرع موسى هارباً من مصر.. واتجه ناحية صحراء سيناء.. وكان لا يدرى إلى أين يذهب، ولكنه كان متوكلاً على الله.. كان يقول لنفسه: عسى أن يهدينى ربى سواء السبيل.

وسار سبعة أيام، لا طعام له إلا ما تنبته الأرض، ولا شراب له إلا القليل الذى يجود بئر به هنا أو عين هناك فى الصحراء القاحلة!.

وأخيراً وصل إلى (مدين) وهى قرية صغيرة ليست فى حكم فرعون.. قريبة من الشام.

هناك وعند البئر التى يشرب منها أهل مدين، رأى الناس يتزاحمون ليشربوا، وليسقوا أغنامهم، ولفت نظرة فتاتان تجلسان فى ظل شجرة بعيدة عن البئر، فاقترب منهما وسألهما:

- ما شأنكما؟.

قالتـا: ننتظـر حتـى يفـرغ النـاس مـن سـقى أغنـامهم، ثـم نتقـدم لنسقى أغنامنا.. إذ لا نستطيع أن نـزاحمهم.. وأبانـا شـيخ كبيـر، ونحـن نرعى الغنم بدلاً منه.

- فتقدم موسى عليه السلام من البئـر وجلـب منـه بعـض المـاء؛ وسـقى غـنم الفتاتين. ثم انسحب وجلس تحت الشجرة، يستظل بظلهـا، وهـو يقـول فى نفسـه:

- (رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ) {سورة القصص: 24}.

كان جَائعاً، ولا مأوَى له.. إلّا أن الله كان راعياً له، ولن يتخلى عنه أبدا.

وكانت الاستجابة الربانية فوريـة.. فإذا بـه يـرى إحـدى الفتـاتين تقبـل عليه فى استِحياء، وتقول بصوت ضعيف:

(إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا) {سورة القصص: 25}.

فنهض من مكانه ومشى معهـا، حتـى وصـل إلـى أبيهـا، أطمـأن إليـه موسـى كثيراً، فقص عليه قصته.

فقال له الشيخ:

- لا تخف.. لقد نجوت من القوم الظالمين.

وقالت إحدى الفتاتين لأبيها:

(يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ) {سورة القصص: 26}.

فنظر إليها الشيخ وكأنه يستفسر منها، كيف عرفت أنه قوى وأمين؟!.

وبالطبع لمحت الفتاة قوتـه، حـين سـقى الغـنم مـن البئـر التـى كـان الناس يتزاحمون حولها، كمـا أدركـت أنـه أمـين، مـن سـلوكه معهـا فـى الطريق، إذ لم يرفع نظره عن الأرض.

قال الشيخ الكبير:

- يا موسى.. إنى أريـد أن أزوجـك واحـدة مـن بنتـى هـاتين، علـى أن تعمل عندى ثمانى سنوات، فإن زدتها إلى عشر، فخير وبركـه ومـا أريـد أن أشق عليك.. (سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ) {سورة القصص: 27}.

فوافق موسـى علـى عـرض الشـيخ الكبيـر، واختـار صـغرى الفتـاتين، ونزوجها.

ومرت السنون العشر سريعاً، واشتاق موسى للعودة إلى مسقط رأسه مصر - ورؤية أمة وإخوته وأهله، ورحل موسى ﷺ من (مدين) فى ليلة مظلمة باردة، وواصل مسيرة حتى وصل هو أهله إلى جانب جبل الطور الأيمن فى سيناء.

وتوقف، ونظر حوله، باحثاً عن نار يهتدى بها أو يدفئ بها أهله. إلى أن رأى ناراً تتوهج من جانب الطور. فقال لأهله:

انتظروا هنا.. لقد رأيت ناراً، سأذهب ناحيتها، لعلى آتيكم منها بجذوة تتدفئون بها.

ومضى إلى أن وصل إلى وادى (طوى)، وهو يتوكأ على عصاه. وعندما وصل إلى هناك، وجد النار تشتعل فى شجرة.

وسمع صوتاً يناديه:

(يَا مُوسَى.إِنِّي أَنَا رَبُّكَ) {سورة طه: 11-12}.

وفزع موسى ﷺ، وكاد يموت خوفاً.. ثم تماسك قليلاً وعاد مرة أخرى إلى النار وسمع الصوت مرة أخرى:

(يَا مُوسَى.إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى.وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى.إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي) {سورة طه: 11-14}.

فهدأت نفس موسى، وخلع نعليه.

ثم ناداه الله ﷻ:

(وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى) {سورة طه: 17}.

قال ﷺ: (هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى) {سورة طه: 18}.

فأمره الله ﷻ أن يلقى عصاه. فألقاها، فرأى موسى ﷺ عصاه تتحول إلى حية كبيرة تتلوى، فخاف وجرى مبتعداً.

فناداه الله ﷻ: (يَا مُوسَى لا تَخَفْ إِنِّي لا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ) {سورة النمل: 10}.

وأمره الله ﷻ أن يمسك الحية، فأمسكها، فعادت عصا مرة أخرى فقال الله ﷻ لموسى ﷺ:

- أدخل يدك فى جيبك، ثم أخرجها.. لتخرج بيضاء من غير سوء (أى بلا مرض).

فلما رأى موسى ﷺ يده (السمراء) قد أصبحت بيضاء، ومن قبل رأى عصاه تتحول إلى حية تسعى، ازداد اندهاشه كما ازدادت حيرته!

فقال له الله ﷻ:

- هاتان الآيتان اذهب بهما إلى فرعون لتدعوه إلى عبادتى.

فقال موسى ﷺ: - ربى إني قتلت منهم نفساً، وأخاف أن يقتلونى.. وأخى هارون أفصح منى لساناً، فأرسله معى، ليعبر له عما قد اتلعثم فيه.

فقال له الله ﷻ:

- قد بعثت إلى هارون.. فاذهب أنت وهو إلى فرعون ولا تخشوه، فلن يصل إليكما، ولن يطولكما أذاه.. بآياتنا أنتما ومن أتبعكما الغالبون.

وعاد موسى ﷺ إلى مصر، وأخذ أخاه هارون وذهبا إلى قصر فرعون، ودخلا عليه فى مجلسه.

فقال فرعون لموسى ﷺ: ماذا تريد يا موسى؟!

قال موسى ﷺ: - أنا رسول رب العالمين.. أرسلنى إليك لتؤمن به وتعبده، وتتوقف عن ضلالك وتجبرك وظلمك وفسادك فى الأرض!.

فقال فرعون: - وما رب العالمين؟

قال موسى ﷺ: - رب السماوات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين، ربكم ورب آبائكم الأولين، رب المشرق والمغرب، وما بينهما.

فالتفت فرعون إلى حاشيته ورعيته المجتمعون من حوله وقال لهم:

- ألست ربكم الأعلى.. لا إله غيرى؟!.

ثم نظر إلى موسى ﷺ، وقال: - يا موسى.. إن كان ما تقوله صدقاً، فأتنا بآية (علامة).

فألقى موسى ﷺ عصاه، فإذا هى ثعبان مبين، ثم أدخل يده فى جيبه وأخرجها، فإذا هى بيضاء للناظرين.

فقال فرعون:

- موسى صار ساحراً.. أتريدنا أن نصدقك ونتبعك بسحرك؟. لأجمعن لك السحرة، لنرى من الذى سيكون له الغلبة، وليكشفوا أمرك، فأجعل بيننا وبينك موعداً نتقابل فيه، وتتبارى معهم، فقال موسى عليه السلام:

- ليكن الموعد يوم الزينة (يوم العيد).

وفى اليوم الموعود احتشد الجميع فى ساحة المدينة ليروا ماذا سيحدث بين سحرة فرعون وبين موسى عليه السلام؟.

قال السحرة لموسى عليه السلام:

- إما أن تلقى، وإما أن نكون أول من يلقى.

فقال موسى عليه السلام:

- بل ألقوا:

فألقى السحرة عصيانهم وحبالهم، وسحروا أعين الناس، فتخيلوا أن العصى والحبال صارت ثعابين تزحف على الأرض، واضطرب موسى عليه السلام، وخاف مما رأى، فأوحى إليه الله عز وجل:

(لا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الأَعْلَى. وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى) {سورة طه: 68-69}.

فألقى موسى عليه السلام عصاه، فصارت حية رهيبة، زحفت وابتلعت كل حبال السحرة وعصيهم.

وما أن رأى السحرة ذلك، حتى أيقنوا أن ما رأوه ليس سحراً، وإنما هو خلق؛ ولا يقدر على الخلق إلا الله، القادر على كل شئ.

فخروا على الأرض ساجدين، وقالوا: آمنا برب العالمين رب موسى وهارون.

فغضب عليهم فرعون وأمر أن يربط السحرة فى جذوع النخل وأن تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف.

فقالوا: - الله خير وأبقى.. ومن يأت الله مجرماً، فمثواه عذاب جهنم الذى لا انتهاء له.. أما من يأت الله مؤمناً قد عمل صالحاً، فجزاؤه الجنة، وفيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، يعيش خالداً فيها.

وهكذا رجحت كفة موسى ﷺ، وخاف فرعون أن ينحاز قومه إليه، بعدما انحاز السحرة. فتوعد موسى بالقتل، إلا أن نبى الله المؤيد بنصر وحماية من عنده سبحانه وتعالى، لم يعبأ بتهديد فرعون أو وعيده، وفوض أمره إلى الله.

وكان من آل فرعون رجل آمن بموسى ﷺ، لكنه كان يكتم إيمانه عن الناس، لما علم بما يعتزمه فرعون، قال:

- أتريدون قتل الرجل لأنه يقول ربى الله.. وجاءكم بالبيانات الا تخشون الله. ألا تخشون مصيراً مثل مصير من كان من قبلكم: قوم نوح وعاد وثمود، الذين عصوا رسلهم، ولم يؤمنوا بالله، فخسف الله بهم الأرض، وأذاقهم العذاب.

ورغم كل ما قاله الرجل المؤمن، إلا أن فرعون ازداد عناداً وكفراً، وازداد تهديداً ووعيداً لموسى ﷺ وأتباعه من بنى إسرائيل، الذين يؤمنون بالله، ولا يسجدون له هو من دون الله.

وأخذه الغرور، فطلب من وزيره (هامان) أن يبنى له بنياناً عالياً، ليصعد إلى السماء، عسى أن يرى إله موسى.

وهنا ازداد الرجل المؤمن إيماناً بأن فرعون يخدع قومه ويأخذهم إلى التهلكة.

وأحس بأن فرعون وأتباعه لن يؤمنوا ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم، ففوض أمره إلى ربه ومولاه، يفعل ما يشاء ويختار!

ولما أشتد أذى فرعون لنبى إسرائيل، أوحى الله ﷻ إلى موسى ﷺ أن يتجهز للخروج من مصر هو وشعبه.

وعلم فرعون بما يعتزمه موسى ﷺ، فأراد منعهم، واشتد فى عذابهم والبطش بهم.

فسلط الله عليه وعلى شعبه العذاب، فأصاب مصر أول ما أصابها جفاف شديد، فكادوا يموتون عطشاً. فتوجهوا إلى موسى ﷺ وقالوا له: إن رفع الله عنا الجفاف آمنا.

فرد الله الجفاف، ولكنهم لم يؤمنوا!.

ثم سلط الله عليهم الجراد، فأكل كل زرعهم وثمارهم وكادوا يموتون جوعاً. فتوجهوا إلى موسى ﷺ وقالوا له: إن رفع الله عنا الجراد، آمنا. فقطع الله الجراد الذى سلّطه عليهم، إلا أنهم لم يؤمنوا.

فسلّط عليهم الله القمل (وهى حشرة صغيرة تعيش على دم الإنسان) وابتلاهم ﷺبالضفادع، نغصت عليهم حياتهم، فكانت تقفز فى طعامهم وشرابهم وبين ملابسهم وتقلقهم بصوتها المزعج.

كذلك ابتلاهم الله بالدم، الذى سال من أنوفهم، ولون مياههم التى يشربونها باللون الأحمر.

ومرة أخرى أسرعوا إلى موسى ﷺ، وقالوا له: أدع لنا ربك يكشف عنا هذا العذاب، ونعاهدك أن نؤمن بالله.

فكشف الله عنهم البلاء، ليمهد لهم سبيل الخلاص، إلا أنهم لم يؤمنوا، ولم يوفوا بما عاهدوا موسى عليه.

.. ولما أشتد أذى فرعون لبنى إسرائيل، ولأتباع موسى المؤمنين بالله، أوحى الله إلى نبيه موسى ﷺ أن يتجهز ويجهز أتباعه للخروج من مصر.

وفى اليوم المحدد للخروج خرجوا، إلا أن فرعون كان قد علم بخروجهم، فجمع جنوده وأنطلق خلفهم، ولحق بهم عند شاطئ البحر. ولما رآه بنو إسرائيل فزعوا.

وقالوا لموسى ﷺ: سيدركنا وسيهلكنا لا محالة!.

ولكن موسى ﷺ قال لهم، وكله إيمان وثقة بالله:

- إن معى الله.. وهو لن يضيعنى.

ثم أمر الله نبيه موسى أن يضرب البحر بعصاه. فضربه، فانقسم البحر إلى قسمين، وكل قسم فيه كالجبل العظيم.

ثم عبر موسى ﷺ وبنو إسرائيل البحر. وبعدما عبروا أراد موسى أن يضرب البحر بعصاه مرة أخرى ليعود كما كان، إلا أن الله أوحى له أن يتركه كما هو.

فى تلك اللحظات كان فرعون وجنوده يقفون على الشاطئ، فلما رأوا الطريق ممهداً أمامهم انطلقوا خلف موسى عليه السلام ومن معه ليلحقوا بهم. إلى أن أصبحوا فى منتصف الطريق، فإذا بالبحر يعود كما كان، امتثالا لأمر صدر إليه من الله، فراح فرعون يصرخ:

- آمنت أنه لا إله إلا الذى آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين.

لكنه كان إيمان بعد فوات الأوان!! لذلك لم ينجه الله، وتركه يغرق هو وجنوده، جزاء على كفرهم وطغيانهم. وفسادهم فى الأرض.

داوود عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

(اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ. إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالعَشِيِّ وَالإِشْرَاقِ. وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ. وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ).

صدق الله العظيم

{سورة ص: 17- 20}.

بعد أن مات نبى الله موسى عليه السلام، ابتعد بنو إسرائيل كثيراً عن الله، وعصوه وانحرفوا عن شريعته التى شرعها لهم، فحرموا الحلال وحللوا الحرام، وأكثر من ذلك قتلوا الأنبياء الذين أرسلهم الله لهدايتهم بعد موسى عليه السلام، لذلك سلط الله عليهم قوماً جبارين ساموهم العذاب وأذاقوهم الذل والهوان وشتتوهم فى بقاع الأرض، وحرموا عليهم دخول الأرض المقدسة فى فلسطين بعد أن طردوهم منها.

واستولوا على تابوتهم المقدس (وهو الصندوق الذى كان يحوى عصا نبيهم موسى عليه السلام والألواح المكتوب عليها التوراة).

وكان بنو إسرائيل يتبركون به ويصحبونه معهم إذا ما خرجوا لقتال عدوهم.

وكان على رأس هؤلاء الجبارين ملك قوى يدعى (جالوت)؛ لا يقدر أحد على مصارعته أو النيل منه، وإلحاق الهزيمة به!

ولما طال ببنى إسرائيل العذاب وساءت حالهم كثيراً، ذهبوا يوماً لأحد أنبيائهم وقالوا:

ادع لنا الله، ليبعث لنا ملكاً يحكمنا ويجمعنا تحت رايته ويقودنا فى قتال أعدائنا؛ حتى نعود إلى ديارنا التى طردنا منها ونستعيد أرضنا ومجدنا.

فقال لهم نبيهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾ {سورة البقرة: 247}.

فقالوا: ﴿أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ﴾ {سورة البقرة: 247}.

كيف يكون هذا الفقير ملكاً علينا وفينا أغنياء أجدر منه بذلك!

فقال لهم نبيهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ﴾ {سورة البقرة: 247}.

فقالوا:

- وما هى آية ملكه؟

قال: - سيعود إليكم التابوت المقدس الذى سلبه منكم العدو.. سيحمله الملائكة إليكم.. هذه هى آية ملكه.

وحدثت المعجزة.. ووجدوا التابوت المقدس كائن أمامهم، فرضوا بما اختاره الله لهم، وتولى طالوت الملك عليهم وأخذ يستعد لقتال عدوهم جالوت.

وأراد طالوت أن يختبر بنى إسرائيل الذين التفوا حوله ويعرف مدى صبرهم على القتال وتحملهم للشدائد، حتى لا يفاجأ بهم يفرون أمام العدو فى ساحة القتال.

أخذهم وسار بهم فى الصحراء لمسافة طويلة، حتى أنهكهم الحر الشديد وكاد العطش أن يفتك بهم.

وكان طالوت قد أخبرهم فى بداية مسيرهم أنهم سيصادفون فى طريقهم نهراً، ومن أراد منهم أن يكمل المسير معه حتى يلاقى الأعداء، فلا يشرب من ماء النهر، فقط يغترف منه غرفة واحدة يبل بها ريقه.

ولما وصلوا إلى النهر غطسوا بأجسامهم فيه وراحوا يشربون ويملأون بطونهم بالماء، وهؤلاء خرجوا من جيش طالوت، ولم يبق معه إلا من شرب قليلاً.

وكان طالوت قد أعد لهم هذا الامتحان ليعْرف من يطيعه من الجنود ومن يعصيه، وليعرف أيهم قوى الإرادة ويتحمل العطش وأيهم ضعيف الإرادة ويستسلم بسرعة.

وقال طالوت لنفسه: الآن عرفنا الجبناء، ولم يبق معى إلا الشجعان!.

وجاءت اللحظة الحاسمة، ووقف جيش طالوت فى مواجهة جيش الأعداء.

وكان جيش جالوت كبيراً وجباراً. فقال بعض الضعفاء من جنود طالوت:

- كيف نهزم هذا الجيش الجبار؟

ورد عليهم المؤمنون الصابرون:

{كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ} {سورة البقرة: 249}.

وبرز جالوت فى دروعه الحديدية، شاهراً سيفه.. مغتراً بقوته ومنتفخاً بكبريائه وجبروته، يطلب من يبارزه وكاد الخوف يفترس كل جنود طالوت، وكانوا على وشك الفرار رعباً.

فى تلك اللحظة برز من بين جنود طالوت راعى غنم صغير اسمه "داود"، كان قد انضم إلى جيش طالوت.. وكان شديد الإيمان بالله وواثق كل الثقة من نصر الله لعبده المؤمن.

تقدم "داود" لمبارزة جالوت..

ولما رآه جالوت، بجسمه الصغير، وبدون سيف فى يده، أشاح بوجهه عنه، مستهزئاً به، ورافضاً أن يتقدم منه لمبارزته.

لم يكن الجبار (جالوت) وحده المستغرب للأمر والمستهزئ بداود.. كان (طالوت) أيضاً مندهشاً ومفاجئاً بالأمر.. ولذلك، عندما رأى إصرار داود على منازلة جالوت أذن له، وقال له:

- لو قتلته سأعينك قائداً على جيشى.. جيش بنى إسرائيل وسأزوجك ابنتى!.

كان داود لا يملك سيفاً أو رمحاً.. كل ما يملكه عصاه وعدداً من الأحجار ومقلاع! (أداة بدائية يقذف بواسطتها الحجر إلى مكان بعيد).

وبعد أن أذن طالوت لداود بمبارزة جالوت، وضع داود حجراً قوياً من الأحجار التى كانت معه فى مقلاعه، ثم طوح به فى الهواء مرات كثيرة، ثم أطلقه، وحملت الرياح (التى كان الله قد سخرها لخدمته) الحجر، ورشقته فى منتصف جبهة جالوت، فخر صريعاً على الأرض قاطعاً أنفاسه الأخيرة.

ثم تقدم منه داود وأخذ سيفه، معلناً هزيمة جالوت وجيشه، ومحققاً قوله تعالى، وهو أصدق القائلين:

(كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ) {سورة البقرة: 249}.

بعد أن قتل داود جالوتاً وهزم الأعداء، صار أشهر رجل فى مملكة بنى إسرائيل.. وصار قائداً للجيش، وزوجاً لابنة الملك.

غير أن هذا كله لم يكن ليفرح داود. فلم يكن مهتماً لا بالشهرة ولا بالمجد ولا بالقيادة.. كان يهتم بشئ واحد.. ويحب شيئاً واحداً هو تسبيح الله وتمجيده بصوته الجميل، الذى كان أحد نعم الله الكثيرة التى أنعمها عليه..

وكثيراً ما كان داود يعتزل قومه وأهله ويذهب بعيداً فى الصحراء أو فى الجبال، ليعبد الله ويسجد له شكراً، ويسبحه.

واختص الله داودعليه السلام بالنبوة، وأعطاه الزبور (وهو كتاب مقدس كالتوراة والإنجيل والقرآن) فيه هداية للعالمين.

كان داودعليه السلام يرتل بصوته الجميل آيات من كتاب الله (الزبور)، ويسبح الله، حين اكتشف أن الجبال تسبح معه.. وليست الجبال فقط وإنما الطيور أيضاً والوحوش والأشجار.. كانت كلها تسبح معه.. وتلك نعمة أخرى أنعمها اللهعز وجل على نبيه داودعليه السلام.

وكان داودعليه السلام يفهم لغة الطيور ولغة الحيوانات.. أودع اللهعز وجل فى قلبه نوراً جعله يفهمها!.

كانت الدروع الحديدية التى يحمى بها الجنود أثناء قتالهم ثقيلة ولا تجعل المحارب حراً يستطيع أن يتحرك بسهولة ويحارب بيسر، لذلك راح داود عليه السلام يفكر فى حل لهذه المشكلة التى يعانى منها جيشه.

كان جالساً فى أحد الأيام وفى يده قطعة حديد يعبث بها حين اكتشف فجأة أن يده تغوص فى الحديد.. فقد ألان له الله الحديد - وتلك نعمة أخرى أنعمها الله عليه واختصه بها - فراح يقطع الحديد ويشكله قطعاً صغيرة، وصلها ببعضها وصنع منها درعاً جديداً، لكنه ليس ككل الدروع السابقة؛ إذ كان يتكون من قطع حديدية موصولة ببعضها تسمح بحرية أكثر فى حركة المحارب وفى نفس الوقت تحميه من طعنات السيوف.

وراح داودعليه السلام يصنع كثيراً من تلك الدروع الجديدة، وزود بها جيشه، الذى انعقد له النصر بسببها فى كل معركة كان يخوضها مع الأعداء!..

وكان داود عليه السلام يعلم أن النصر دائماً من عند الله.. ولهذا كان يزيد من شكره لله وتسبيحه لله وحبه لله تعالى.

ولم يحب بنى إسرائيل أحداً مثلما أحبوا داود عليه السلام.

وبعد أن مات ملكهم طالوت، لم يرضوا بأحد ملكاً عليهم إلا داود عليه السلام الذى حباه الله أيضاً بالحكمة.

قال تعالى: (وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ) {سورة ص: 20}.

ومن أقوال داود عليه السلام التى تنبئنا بحكمته والتى حفظتها لنا كتب التاريخ والسير:

"حق على العاقل ألا يغفل عن أربع ساعات: ساعة يناجى فيها ربه، وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يفضى فيها إلى إخوانه الذين يخبرونه بعيوبه ويصدقونه عن نفسه، وساعة يخلى بين نفسه وبين لذاتها فيما يحل ويجمل، فإن هذه الساعة عون على هذه الساعات وإجمام للقلوب".

وقال: "أنظر ما تكره أن يذكر عنك فى نادى القوم فلا تفعله إذا خلوت".

وقال: "لا تعدن أخاك بما لا تنجزه له، فإن ذلك عداوة بينك وبينه".

كان داود عليه السلام يجلس يوماً كعادته يحكم بين الناس وينظر فى مشاكلهم وأحوالهم. وكان إلى جانبه ابنه سليمان عليه السلام الذى رزقه الله به؛ وميزه بالذكاء والحكمة منذ طفولته، ودخل عليه وهو فى مجلسه هذا رجلان.. أحدهما صاحب حقل والآخر صاحب غنم.

قال صاحب الحقل:

يا نبى الله.. إن غنم هذا الرجل قد نزلت حقلى، وأكلت الزرع الذى كان به.

فسأل داود عليه السلام صاحب الغنم:

- هل ما يقوله صحيح؟

فقال صاحب الغنم: - نعم يا نبى الله.. هذا صحيح!

فقال داود عليه السلام: - إذن تعطيه غنمك بدلاً من الزرع الذى أكله.

فقال أبنه سليمان عليه السلام: - عندى حكم آخر يا أبت.

فقال داود عليه السلام: - قله يا سليمان.

فقال سليمان عليه السلام:

- أحكم بأن يأخذ صاحب الغنم حقل هذا الرجل، ويزرعه ويرعاه حتى ينمو الزرع ويعود الحقل كما كان، ثم يرده لصاحبه. وفى تلك الأثناء يأخذ صاحب الحقل غنم هذا الرجل، ويستفيد من لبنها وصوفها ويأكل منها، إلى أن يعود إليه حقله، فيرد الغنم لصاحبها.

{وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ * فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلاًّ آتَيْنَا حُكْماً وَعِلْماً وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ} (سورة الأنبياء79،78)

وهكذا أعجب داود عليه السلام بحكم ابنه سليمان عليه السلام الذى جاءً أفضل من حكمه الذى حكم به أول مرة، وحمد الله الذى وهبه هذه الحكمة.

وكان داود عليه السلام برغم قربه من الله، وحب الله له، يتعلم من الله، وقد وعلمه الله يوماً ألا يتعجل فى حكمه، وألا يصدر حكمه إلا بعد أن يستمع لأقوال الخصمين المتنازعين:

جلس يوماً فى محرابه يتعبد ويذكر الله، وفجأة رأى أمامه رجلين فخاف منهما، فطمأناه وأخبراه أنهما خصمان يريدان أن يحكم بينهما.

واشتكى أحدهما أخيه قائلاً:

(إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ) {سورة ص: 23}.

فحكم داود ببطلان هذا الفعل، دون أن يسمع رأى الآخر وحجته، قال: (لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ) {سورة ص: 24}.

وفوجئ داود عليه السلام فى تلك اللحظة باختفاء الرجلين من أمامه.

فعلم داود عليه السلام- بواسطة النور الذى أودعه الله فى قلبه - أن الرجلين ملكان، أرسلهما الله ليعلماه درساً.. فلا يحكم بين المتخاصمين إلا إذا استمع إلى أقوالهما جميعاً، فربما كان صاحب التسع والتسعين نعجة معه الحق.

وخر داود عليه السلام ساجداً، واستغفر الله، وشكره على ما أنعم به عليه..
واستمر داود عليه السلام يعبد الله ويسبحه ويمجده حتى مات وورث ملكه ابنه سليمان عليه السلام.. كما خلفه في النبوة بأمر من الله سبحانه وتعالى.

سليمان عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

(ولسليمان الريح عاصفة تجري بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها وكنا بكل شيء عالمين. ومن الشياطين من يغوصون له ويعملون عملا دون ذلك وكنا لهم حافظين) .

صدق الله العظيم

{سورة الأنبياء: 81- 82}.

سجد سليمان عليه السلام لله تعالى ودعاه قائلاً: "رب اغفر لى وهب لى ملكاً لا ينبغى لأحد من بعدى".

كان سليمان يريد أن يهبه الله ملكاً لا يعطيه لأحد من خلقه بعد ذلك. واستجاب الله لعبده سليمان عليه السلام، ومنحه هذا الملك.

ومثلما شرف الله الأب (داود عليه السلام) بالنبوة، كذلك شرف الابن (سليمان عليه السلام) بها.

وصار سليمان عليه السلام - بعد أبيه داود عليه السلام - ملكاً لبنى إسرائيل، ونبياً.

ولقد أنعم الله على نبيه سليمان عليه السلام، بنعم كثيرة، فأنعم عليه بالحكمة، حتى صار معروفاً فى التاريخ وبين الناس "بسليمان الحكيم".

وقد ظهرت حكمة سليمان عليه السلام منذ صباه؛ وعندما كان فى كنف أبيه داود عليه السلام.

جاءت إلى نبى الله داود عليه السلام، امرأتان تتنازعان ملكية طفل، وكلا منهما تجذب الطفل من ناحية وتقول أنا أمه. وكانت إحدى المرأتين أكبر من الأخرى.

فبعد أن استمع إليهما داود عليه السلام حكم بأن تأخذه المرأة الكبرى، بعدما اقتنع بأنها هى أمه.

فقال سليمان عليه السلام: - يا أبت.. إن لى حكماً آخر.

فقال داود عليه السلام: - قله يا نبى.

فقال سليمان عليه السلام: سآتى بسكين وأشق الطفل نصفين، وأعطى كل واحدة منهما نصفاً. وهنا صرخت المرأة الصغرى، وقالت:

لا يا نبى الله.. أعطها الطفل ولا تشقه بالسكين.

وكانت المرأة الكبرى، تقف صامتة، ولا يبدو عليها أى انفعال أو تأثر.

ورأى ذلك سليمان ﷺ، فحكم بالطفل للمرأة الصغرى باعتبارها أمة الحقيقية، لأنها هى التى كانت رحيمة بالطفل، ورفضت أن يمسه أى أذى!

ولم تكن حكمة سليمان ﷺمقصورة على عدله بين الناس، ورحمته بهم، وإنما تجاوزت حكمته عالم البشر إلى عالم الطير والحيوان.

وإذا كان داود ﷺ قد أنعم الله عليه وجعله يفهم لغة الطيور.. فإن نعمة الله على سليمان ﷺ جعلته يتكلم مع الطيور ويوظفها فى خدمته.

وإذا كانت الجبال والوحوش والطيور قد سبحت مع داود ﷺ، وتوقفت الرياح وسكنت لتستمع إلى هذا التسبيح العظيم فإن الله قد زاد سليمانﷺ فضلاً على ذلك بأن سخر له الوحوش والطيور والرياح وأخضعها له.

وأكثر من ذلك، منحه الله قدرة على تسخير الجن وتوظيفهم فكانوا جنوداً فى جيشه أثناء الحرب. وعمالاً فى مملكته أثناء السلم.

والجن مخلوقات خلقها الله، لكن ليس فى استطاعة البشر رؤيتها أو استحضارها أو الاستعانة بها.. فلنا أن نتخيل جيشاً هذا حاله، أو جيشاً جنوده غير ظاهرين ولا تراهم عيون البشر، كيف يكون؟!.. إن قتال جيش كهذا، والانتصار عليه بالتأكيد مستحيل.

قال تعالى: (وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ) {سورة النمل: 17}.

وقال تعالى: (فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ) {سورة ص: 36}.

أيضاً وهب اللهﷻ لنبيه سليمانﷺ قدرة على التحكم فى الشياطين وتشغيلها وتقييدها بالسلاسل وتعذيبها إذا عصت أوامره.

قال ﷻ: (وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ.وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ) {سورة ص: 37-38}.

أيضاً أنعم الله تعالى على سُليمان ﷺ بنعمة أخرى، هى إذابة الأشياء الصلبة، كالنحاس مثلاً، مثلما أنعم الله على أبيه داود بأن ألان له الحديد.. وقد استفاد سليمان ﷺ من النحاس المذاب فائدة عظيمة سواء فى الحرب أو فى السلم.. فى الحرب كان يمزج النحاس بالحديد ليحصل على البرونز الذى استخدمه فى صناعة الأسلحة كالسيوف والخناجر وكذلك الدروع. وفى السلم كان يستخدمه فى البناء وفى صناعات مختلفة.

كان سليمان ﷺ يستطيع أن يسمع همس نملة تحدث نملة أخرى..

فيحكى لنا القرآن الكريم أنه خرج يوماً على رأس جيشه، وكان جيشاً عظيماً ومهولاً.كان يتكون من الإنس والجن والطير والوحوش.

ورأته نملة (كانت صاحبة الأمر فى قومها، أو لنقل هى ملكة النمل)، فقالت لقومها من النمل:

أيها النمل.. ادخلوا مساكنكم بسرعة واختبئوا، فإن جيش سليمان قادم، وربما داس جنوده عليكم بأقدامهم وحطموكم!.

فسمع قولها سليمان ﷺ، فتعجب وقال لها:

لم تقولين ذلك.. هل خفت أن يدوسكم الجنود بأقدامهم فيقتلونكم؟!

فقالت له: لا يا نبى الله.. فأنت لن تفعل بنا ذلك، ولكنى خفت أن يرى النمل جيشك العظيم؛ فيظلوا أياماً طوالاً يتحاكون عنه وعن عظمته وما فيه من عتاد وسلاح، وما فيه من جن وطير ووحوش، فيشغلهم ذلك عن ذكر الله.

(وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ* حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِي النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ * فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ) {سورة النمل:17: 19}.

ومرة أخرى خرج سليمان عليه السلام على رأس قومه وساروا فى الصحراء ليصلوا صلاة الاستسقاء، ويسألوا المولى عز وجل أن يمطر عليهم السماء، بعدما انقطع عنهم المطر، وكادوا أن يهلكوا.

وبينما هم فى الطريق، وقف سليمان عليه السلام فجأة، وراح يسمع لقول نملة!.. كانت النملة تقول: "اللهم إنا خلق من خلقك ولا غناء بنا عن فضلك". وعندما انتهت النملة من دعائها، أسقط الله عليهم المطر مدراراً.

وهنا سجد سليمان عليه السلام شكراً لله، على أن أنعم عليه بنعمة فهم ما تقوله هذه المخلوقات الصغيرة.

وبرغم كل هذه النعم العظيمة والمنح الخاصة، فقد فتن الله سبحانه وتعالى نبيه سليمان عليه السلام.. وابتلاه.. ليمحصه ويزيده تعلقاً وحباً فى الله.

قال تعالى: (وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ) {سورة ص: 34}.

أمرضه الله مرضاً شديداً حير أطباء الإنس والجن.. وأحضرت له الطيور أعشاباً طبية من شتى أنحاء الأرض، فلم يشف. وكل يوم كان المرض يزيد عليه حتى أصبح جلداً على عظم، إذا جلس على كرسيه، جلس كأنه جسد بلا روح..

واستمر هذا المرض فترة، كان سليمان عليه السلام لا يتوقف فيها عن ذكر الله وطلب الشفاء منه.

وانتهى ابتلاء الله ﷻ لعبده سليمان عليه السلام، وشفاه. عادت إليه صحته بعد أن عرف أن كل مجده وكل ملكه وكل عظمته لا تستطيع أن تشفيه من المرض، إلا إذا أراد الله سبحانه وتعالى.

قصة سليمان عليه السلام مع الهدهد.

كان سليمان عليه السلام يتفقد الطير، ويطمئن على أحواله، فلاحظ غياب الهدهد، فقال:

(مَالِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ) {سورة النمل: 20}.

ثم قال غاضباً: (لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ) {سورة ص: 21}.

وعندما ظهر الهدهد بعد غيبة ليست طويلة، صاحت به كل الطيور:

- أين كنت؟!.. أين كنت؟!

فقال الهدهد وهو يلتقط أنفاسه: - ماذا جرى؟!.. ما كل هذه الضجة؟!

فقالت له الطيور:

- نبى الله سليمان عليه السلام كان هنا ولم يجدك.. فهدد بذبحك أو تعذيبك.

فارتعد الهدهد، وقال:

- ما هذا الكلام؟!.. وهل يتصور نبى الله أننى كنت ألهو أو أمرح هنا أو هناك.. لقد كنت فى مهمة سرية.

فقالت له الطيور:

- اذهب فوراً إلى نبى الله قبل أن يعرف أنك وصلت.

فطار الهدهد إلى حيث يجلس سليمان عليه السلام، ووقف غير بعيد منه، وقرر أن يبدأ هو بالكلام، قبل أن يسأله أين كان..

قال: (أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ) {سورة النمل: 22}.

ثم استطرد قائلاً - وهو يرتعش:

(إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ. وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ) {سورة النمل: 23-24}.

فقال له سليمان عليه السلام، وقد أثاره ما سمع:

(سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ) {سورة النمل: 27}.

ثم أمر بإحضار ورقة وقلم، وكتب رسالة سريعة، ومد يده بها إلى الهدهد، قائلاً له:

اذهب بهذه الرسالة إلى تلك المرأة، وارم الرسالة لها.. ثم اختبئ، وانظر ماذا يكون رد فعلها ثم ارجع سريعاً وحدثنى بالأمر.

والتقط الهدهد الرسالة بمنقاره وهو لا يصدق أنه نجا من العقاب.

وذهب الهدهد بالرسالة، ثم عاد، ليقول لسليمان عليه السلام:

وصلت إلى مملكة سبأ، وألقيت برسالتك فى فراش الملكة بلقيس، ولما وجدتها، قرأتها، ثم قطبت وجهها، ثم أمرت بعقد مجلس المستشارين فى المملكة.

واجتمع المجلس.. وكنت أقف فى السقف وسط النقوش، فلم يرنى أحد. وسمعت الملكة وهى تقول لمستشاريها:

(يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ * إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ * أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ) {سورة النمل: 29-31}.

ثم قالت لهم: إن سليمان يطلب التسليم.. (أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ) {سورة النمل: 32}.

فقال لها المستشارون: نحن لدينا جيش قوى، ونستطيع أن نحارب.

فسكتت الملكة قليلاً ثم قالت: لا داعى للحرب.. نحن لا نعرف قوة سليمان.. سنرسل إليه بهدية حتى نستطيع أن ندخل مملكته. وعلى

من يذهب بالهدية أن يحدثنا عندما يرجع عن قوته.. وهل نستطيع أن نحاربه أم لا؟!.

وأمر سليمان ﷺ الهدهد بالانصراف، بعدما أنهى كلامه.

ولم تكد تمر بضعة أيام، حتى وصلت هدية الملكة بلقيس، حملها أحد وزرائها، وكان معه بعض رجال الدولة، الخبراء بالشئون العسكرية والجيش.. ولم يكن سليمان ﷺ في حاجة لاستعراض قوته أمام ضيوفه.

كان طبيعياً جداً.. ولكنهم رأوا ما لم يروه من قبل.. أو جيشاً لا يستطيع مخلوق في الدنيا أن يقف أمامه.

وبعد استقبال رسل بلقيس، أفهمهم سليمان ﷺ أنه لا يقبل هديتهم، وأنه لا يريد إلا إسلامهم، وعبادتهم لله وحده، ولا يسجدوا للشمس، أو فلينتظروا قدومه إليهم بجيش لا يستطيعون صده، وإخراجهم من بلادهم أذلة وهم صاغرون.

وانصرف الرسل، وذهبوا، ليحدثوا ملكتهم بلقيس بما رأوه من عظمة ملك سليمان ﷺ وقوة وضخامة جيشه.

ولما استمعت إليهم بلقيس قررت أن تذهب بنفسها إلى سليمان! في ذلك الوقت، كان سليمان ﷺ جالساً، ومن حوله مستشاريه من الإنس والجن، ثم قال لمن حوله:

(يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ) {سورة النمل: 38}.

فقال عفريت من الجن الذين سخرهم الله لخدمة سليمان ﷺ:

(قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ) {سورة النمل: 39}.

وانتظر سليمان ﷺ أن يسمع ممن حوله كلاماً آخر: (قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ) {سورة النمل: 40}.

ورمش سليمان.. أغلق جفنه ثم فتحه، فوجد عرش بلقيس (الكرسى الذى تجلس عليه) أمامه!.

فأحس سليمان ﷺ بنعمة الله عليه، لأن ضمن أتباعه من يملك المقدرة على إحضار عرش من اليمن إلى فلسطين فى أقل من غمضة عين، وفاض قلبه بالشكر لله وقال:

(هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ) (سورة النمل: 40}.

ثم نهض سليمان ﷺ من مجلسه، وأمر بإجراء بعض التعديل والتغيير على عرش بلقيس، ليمتحنها حين تزوره، ويرى إن كانت ستعرفه وتهتدى إليه:

(فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ) {سورة النمل: 42}.

وأصابتها دهشة وحيرة، فهو يشبه عرشها، لكنه ليس عرشها.. وإذا كان هذا عرشها فكيف جاء من هناك إلى هنا؟!

العرش تغير بعض الشئ، وهذا التغيير يحتاج إلى وقت!..

فمتى حدث كل هذا، وهى لم ترفع تراب السفر عن قدميها بعد؟

كان سليمان ﷺ يريد هدايتها إلى الله، وكان أهل سبأ متقدمين فى الصناعة، وكانوا يتصورون أنهم سبقوا أهل الأرض جميعاً فى ذلك.

فأثبت لهم سليمان ﷺ أنهم بالنسبة إليه متخلفون.

وكان سليمان ﷺ قد شيد صرحاً عظيماً ليستقبل فيه بلقيس.. شيد لها قصراً عظيماً صنع أرضه من زجاج ثمين شديد الصلابة، وعظيم الشفافية فى نفس الوقت. وكانت أرض القصر قد بنيت فوق مياه بحر، بحيث يسير الإنسان فوقها فيرى الأسماك الملونة وهى تسبح، ويرى أعشاب البحر وهى تتحرك.. ومن فرط نقاء الزجاج وشفافيته، لم يكن يبدو أن هناك زجاجاً!

قيل لبلقيس ادخلى القصر.

فلما نظرت لموضع قدمها لم تر الزجاج، ورأت المياه، وحسبت أنها ستغوص فى الماء. فكشفت عن ساقيها كى لا يبتل رداؤها.

قال لها سليمان عليه السلام:

(إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ) {سورة النمل: 44}.

وهنا أدركت بلقيس أنها تواجه أعظم ملوك الأرض، وأحد أنبياء الله الكرام، فقالت:

(رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) {سورة النمل: 44}.

وهكذا أسلمت بلقيس.. وأسلمت معها بالتبعية مملكتها: سبأ!

وقبل أن نترك سيرة نبى الله سليمان عليه السلام لنتناول سيرة نبى آخر من أنبياء الله. لابد لنا أن نتوقف قليلاً عند موته، الذى كان آية من آيات الله:

كان سليمان عليه السلام جالساً على كرسيه، ومتكئاً على عصاه، يذكر الله.. وحين قضى الله ﷻ عليه بالموت، وهو على هذه الحال.

ظل ميتاً فترة، والجن يشتغلون فيما كلفهم به، وهم يتصورون أنه حى.

ثم جاءت نملة صغيرة من تلك التى تأكل الخشب، وبدأت تأكل عصا سليمان..

استأذنت أن تأكل العصا أولاً: (وكيف لا تستأذن أعظم ملوك الأرض ونبى الله).. ولما لم تسمع رداً بدأت تأكل العصا (تقرضها).

كانت جائعة فأكلت جزءاً من العصا، فاختل توازن الجسم العظيم وسقط على الأرض.. واكتشفت الجن أنه مات، فتحررت من العمل الشاق الذى كان قد كلفها به. وتبين للجن أنهم لا يعلمون الغيب، إذ لو كانوا يعلمون.

{وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ* يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ* فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ} {سورة سبأ: 12-14}.

وهكذا مات نبى الله سليمان ﷺ. وهو جالس على كرسيه يذكر الله. وسبحان من له الدوام.

زكريا ويحيى عليهما السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

{وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ. فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ} .

صدق الله العظيم

{سورة الأنبياء : 89- 90}.

بسم الله الرحمن الرحيم

{يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا . وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا . وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا . وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا} .

صدق الله العظيم

{سورة مريم 12-15}.

بعد داود وسليمان عليهما السلام، بعث الله زكريا عليه السلام نبياً لبني إسرائيل، يهديهم إلى شرع الله، ويواصل معهم رسالة كل أنبياء الله الذين سبقوه، ويجعلهم يستمسكون بعبادة الله الواحد الأحد، ولا يغفلون عن ذكره وعن شكره!.

وزكريا عليه السلام هو زوج خالة مريم أم عيسى عليه السلام. وهو الذى كفلها أو رباها ورعاها بعدما مات عمران أبوها.. ولذلك قصة: كانت امرأة عمران عاقراً لا تلد.. وذات يوم كانت تطعم طيوراً لديها، فرأت طائراً يضع فمه فى فم صغيرة ليطعمه، ثم يضعه مرة أخرى ليسقيه. فجعلها هذا المشهد تحن للطفل وتتمنى أن يكون لديها ولد تطعمه وتسقيه.

فرفعت يديها نحو السماء وراحت تدعو الله أن يرزقها بطفل. واستجاب الله لدعائها، فأحست ذات يوم أنها حامل، وملأها الفرح والسرور، فسجدت لله شكراً، ونذرت ما فى بطنها لله (وعدت الله أن يكون وليدها خادماً لبيت الله المقدس طوال حياته).

قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ {سورة آل عمران: 35}.

ووضعت زوجة عمران بنتاً، فدعت الله قائلة: ﴿رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾ {سورة آل عمران: 36}.

وشاءت رحمة الله أن تكون هذه المولودة الأنثى أفضل نساء العالمين، وأن تكون أما لنبى يجئ ميلاده إذ يجئ من غير أب!.

قبل أن تولد مريم، كان أبوها عمران قد مات.. ولأن عمران كان شيخاً جليلاً وذو مكانة مرموقة لدى قومه؛ فقد تسابق القوم وتنافسوا من أجل أن يحوز كل منهم شرف تربية ورعاية مريم.. وكان زكريا عليه السلام يرى أنه أحق الجميع بذلك، فهو زوج خالتها و.... نبى الأمة.

وكادوا يختصمون، وحسما للقضية اتفقوا على إجراء القرعة فيما بينهم.

وأجريت القرعة.. وضعت مريم على الأرض، ووضع إلى جانبها أقلام الذين يرغبون فى كفالتها، وجاءوا بطفل صغير يختار قلماً من بين الأقلام، فاختار قلم زكريا عليه السلام.

فاحتج البعض وقال نجرى القرعة مرة ثانية.. فحفر كل واحد اسمه على قلمه، واتفقوا على أن يلقوا الأقلام فى النهر، ومن يسير قلمه ضد التيار يكون هو الكفيل.

فألقوا الأقلام، فسارت جميعها مع التيار، ما عدا قلم زكريا عليه السلام لكنهم لم يقتنعوا وقالوا نلقى الأقلام فى النهر، والقلم الذى يسير وحده مع التيار يكون صاحبه هو الكفيل. فألقوا الأقلام، وسارت جميعها ضد التيار ماعدا قلم زكريا عليه السلام ،فسلموا بأن زكريا عليه السلام هو الذى يكفل مريم!.

ولأن أم مريم كانت قد نذرتها لخدمة بيت الله المقدس، فقد كان لها مكان خاص به،تعيش فيه، وكان لها محراب تتعبد فيه.وكل وقتها كان مكرساً للصلاة وذكر الله وشكره.

وكان زكريا عليه السلام يزورها كل حين.. وكان حين يزورها يجد عندها خيراً كثيراً.. بل يجد عندها فاكهة الصيف فى الشتاء، وفاكهة الشتاء فى الصيف.

ولما كان يسألها: من أين لك هذا يا مريم؟!.

تجيبه: هو من عند الله.. يرزق من يشاء بغير حساب.

فيقول زكريا عليه السلام فى نفسه: سبحان الله.. قادر على كل شئ!.

ولم يكن لزكريا ولد.. فتمنى أن يكون له ولد! وسأل الله أن يرزقه طفلاً يرث النبوة والحكمة والفضل والعلم، وكل ما أنعم الله به عليه، ويكون هادياً لقومه من بعده.

(ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا* إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا* قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا *وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا *يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا) {سورة مريم: 2-6}.

ونادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب.

(يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا) {سورة مريم: 7}.

وانتاب زكريا فرح شديد واضطراب في نفس الوقت، فتساءل:

(قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا) {سورة مريم: 8}.

وأجابت الملائكة: (إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) {يس: 82}.

وامتلأ قلب زكريا بالشكر لله، وخر على الأرض ساجداً يسبح بحمده، وسأله أن يجعل له آية (علامة).

قال ﷻ: (آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ) {سورة آل عمران: 41}.

أخبره الله بأنه ستجئ عليه ثلاثة أيام لا يستطيع النطق فيها، ولن يتكلم مع الناس إلا بالإشارة.. إذا حدث له ذلك، فعليه أن يتأكد بأن امرأته حامل، وأن معجزة الله قد تحققت.

بعدها فوجئ زكريا عليه السلام يوماً عندما أراد أن يكلم الناس بأن لسانه لا ينطق، فأومأ لهم أني سبحوا الله في الفجر والعشاء. وراح هو يسبح الله في قلبه على ما أنعم به عليه.

وما هى إلا أيام وشهور حتى ولد يحيى عليه السلام. وكان وهو طفل غريباً ومميزاً عن كل أقرانه من الأطفال. فهو لا يلهو ولا يلعب مثلما يلهون ويلعبون، ولا يعذب الحيوانات وبثيرهم ويشاكسهم كما يفعلون.. كان هادئاً طوال الوقت.. يحنو على الطيور والحيوانات ويعطف عليهم.

وكان كلما كبر فى السن، ازداد النور فى وجهه وامتلأ قلبه بالحكمة والمعرفة وحب الله.

ولما صار صبياً صدر له الأمر الإلهى: (يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا) {سورة مريم: 12}.

والكتاب هنا هو كتاب الشريعة!.

رزقه الله، وهو مازال صغيراً القدرة على فهم الشريعة والقضاء بها بين الناس.

ولما كبر زاد علمه، وزادت صلته بالله، ودعوته الناس إلى التوبة من الذنوب، والاستغراق فى طاعة الله وعدم عصيانه.

وعلاوة على دوره فى الدعوة إلى الحق وإلى عبادة الله، كان يحيى عليه السلام، ناسكاً.. ينطلق فى شعاب الجبال وفى الصحراء، وفى الحقول البعيدة.. يمكث فيها شهوراً يعبد الله ويبكى وهو خاشع بين يديه.

وكان لا يهتم بطعامه أو شرابه.. يأكل ورق الأشجار والعشب أحياناً أو بأكل الجراد، ويشرب من ماء النهر. وكان ينام فى أى مغارة يجدها فى الجبل، أو أى حفرة يجدها فى الأرض.

وكان يحيى عليه السلام إذا وقف بين الناس ليدعوهم إلى الله أبكاهم من الحب والخشوع، وأثر فى قلوبهم بصدق مشاعره وشدة تقواه.

وقف يوماً يتحدث فى الناس.. فقال:

(إن الله العزيز القدير أمرني بخمس كلمات أعمل بها، وآمركم أن نعملوا بها: أن تعبدوا الله وحده بلا شريك.. فمن أشرك بالله وعبد غيره، فهو مثل عبد اشتراه سيده فراح يعمل ويؤدى ثمن عمله لسيد غير سيده.. أيكم يحب أن يكون عبده كذلك؟!

وآمركم بالصلاة، فإن الله ينظر إلى عبده وهو يصلى، ما لم يلتفت عن صلاته.. فإذا صليتم فأخشعوا.

وآمركم بالصيام.. فإنه مثل رجل معه "صرة" من مسك زكى الرائحة، كلما سار فاحت منه رائحة المسك العطرة.

وآمركم بالصدقة.. فإن مثل ذلك، كمثل رجل وقع أسيراً في أيدى أعدائه، وكادوا يقتلونه، لولا أن افتدى نفسه بماله، فتركوه ونجا من الموت.. والصدقة كذلك تفتدى الإنسان وتخلصه من ذنوبه.

وآمركم بذكر الله كثيراً، فإن مثل ذلك مثل رجل طارده أعداؤه فأسرع وتحصن بحصن حصين، وأعظم الحصون ذكر الله.. ولا نجاة بغير هذا الحصن.).

وهكذا كانت حياة نبى الله يحيى عليه السلام كلها عبادة وتقوى ودعوة للطاعة وإتباع الحق.. وكان لا يخشى فى الله لومه لائم؛ وإنسان كهذا كان لابد أن يصطدم بالحاكم الطاغية الذى لا يخشى الله، ولا يردعه رادع..

كان هذا الحاكم يريد الزواج من ابنة أخيه.. ولما كان ذلك لا يجوز شرعاً، وكان يحيى عليه السلام أميناً على شرع الله، ويدعو الناس إلى التمسك به وعدم مخالفته؛ لذلك رفض يحيى عليه السلام أن يوافق هذا الحاكم على رغبته، وقال له بصراحة إن ذلك لا يجوز.

وكلما كان ذلك الحاكم الطاغية، يعرض الأمر على يحيى عليه السلام ويطلب موافقته. كان يحيى عليه السلام يرفض ويعارض بشدة.

إلى أن كانت ليلة، كان الحاكم ساهراً فيها يلهو ويعربد ويشرب الخمر، ومن حوله ندماؤه وحاشيته، وأمامهم ابنة الأخ تلك (واسمها سالومى) ترقص، وفجأة توقفت عن رقصها الماجن، وحدقت فى عينى الحاكم، وقالت: - أريد أن أطلب من مولاى شيئاً.

فقال لها: - أطلبى ما شئت.. كل ما تطلبينه مجاب!

فقالت:- أريد رأس يحيى!.

وكأنه كان مستغرقاً فى النوم وأستيقظ مفزوعاً، فقال باضطراب:

- رأس يحيى؟!.. اطلبى شيئاً آخر.

فقالت: - لا أريد شيئاً سواه.. وإذا كنت تريد أن تتزوجنى، فدونك وما تريد: رأس يحيى بن زكريا.

فنظر الحاكم إلى قائد فرسانه وقال: - فليكن ما تريد!

وذهب الفرسان، وعادوا بالرأس الطاهر النبيل.. وكما قتلوا الابن، قتلوا بعده الأب زكريا، عليه وعلى يحيى السلام.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾ {سورة آل عمران: 21-22}.

عيسى عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

(إِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ. وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ).

صدق الله العظيم

{سورة آل عمران: 45- 46}.

عرفنا فى قصة زكريا ويحيى (عليهما السلام) أن مريم عاشت فى كفالة زكريا عليه السلام، وكانت لا تفارق بيت الله فى القدس الشريف، إلا لحاجة شديدة، وكان زكريا عليه السلام كلما دخل عليها ليتفقد أحوالها يجد عندها رزقاً كثيراً فيسألها: من أين لك هذا يا مريم؟.. فتجيبه: هو من عند الله، يرزق من يشاء بغير حساب.

وكانت مريم عليها السلام مخلصة لله فى عبادتها..

ناداها جبريل عليه السلام ذات يوم: (يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاء الْعَالَمِينَ) {سورة آل عمران: 42}.

وذات يوم آخر كانت خارج المسجد تقضى حاجة لها، فبعث الله إليها جبريل رسول الوحى، على هيئة رجل يرفل فى ثياب بيضاء، فلما رأته فزعت وقالت: (قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَن مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا) {سورة مريم: 18}.

فقال لها جبريل عليه السلام: (إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا) {سورة مريم: 19}.

فتعجبت مريم عليها السلام.. فكيف تلد غلاماً وهى التى لم تتزوج؟!.

قالت: (أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ) {سورة مريم: 20}.

فقال جبريل عليه السلام: (كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا) {سورة مريم: 21}.

ولم يستوعب عقل مريم الأمر فى بدايته.. وراحت تفكر فى كلمات جبريل عليه السلام.. ألم يقل لها إن هذا هو أمر الله القادر على أن يقول للشئ كن فيكون..؟ ألم يخلق الله سبحانه وتعالى آدم من غير أب أو أم؟، ثم ألم يخلق حواء من آدم؟..

خلق الله عز وجل آدم من غير ذكر وأنثى، ثم خلق حواء بدون أنثى.. ويخلق ابن مريم من أنثى بغير أب. أليس الله بقادر على كل شئ..؟.

نعم قادر على كل شئ.. اقتنعت مريم واستوعب عقلها الأمر، وهدأت نفسها المضطربة.

ثم عاد جبريل عليه السلام يقول لها:

(إِنَّ اللهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ * وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ) {سورة مريم: 45-46}.

وكانت دهشة مريم عظيمة؛ فهى قبل أن تحمله فى بطنها، وقبل أن تلده، تعرف اسمه، وتعرف أنه سيكون وجيهاً عند الله وعند الناس، وتعرف أنه سيكلم الناس وهو طفل، ثم وهو كبير. وقبل أن تسأل مريم سؤالاً آخر، رأت جبريل عليه السلام يرفع يده ويدفع الهواء نحوها، وأحست بالنور يتسلل إلى جسدها، ثم اختفى جبريل عليه السلام.

وحملت مريم عليها السلام كما تحمل النساء.. ثم حان موعد الولادة، وشعرت بآلام المخاض، فخرجت من المسجد، وذهبت إلى مكان بعيد، ثم جلست تحت نخلة.. وكانت تقول لنفسها:

(يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا) {سورة مريم: 23}.

ولم تكد تنتهي من تمنيها الموت والنسيان حتى ناداها الوليد من تحتها: (أَلاَّ تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا * وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا * فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا) {سورة مريم: 24-26}.

وحملت مريم وليدها ومضت به عائدة إلى المسجد، ورآها الناس من بنى إسرائيل، ولاحظوا أنها تحمل طفلاً، وتضمه إلى صدرها وتمشى به فى بطء وجلال!.

فتعجبوا، وتساءلوا بينهم وبين أنفسهم: كيف تنجب مريم وهى لم تتزوج من قبل؟!.. وظنوا بها ظن السوء. ولما سألوها لم تجب، وأشارت إلى عيسى عليه السلام.

فتعجبوا أكثر وقالوا: (كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا) {سورة مريم: 29}.

وأنطق الله ﷻ عيسى عليه السلام وهو مازال طفلاً رضيعاً، قال:

(قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا * وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَمَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا * وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا *وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا) {سورة مريم: 30-33}.

وما أن أنهى عيسى عليه السلام كلامه، حتى اسودت وجوه كهنة بنى إسرائيل..

لقد شهدوا بأم أعينهم معجزة.. طفل يتكلم فى مهده!.

وما شاهدوه كان كفيلاً بأن يصدقوه ويؤمنوا به.. إلا أن الطفل كان يقول إن الله قد آتاه الكتاب وجعله نبياً.. وهذا يعنى أن سلطتهم فى طريقها إلى الانهيار، سيصبح كل كاهن منهم بلا قيمة عندما يكبر هذا الطفل.. لن يستطيع أياً منهم أن يبيع الغفران للناس، أو يحكمهم ويمارس السلطة عليهم عن طريق ادعائه بأنه ظل الله على الأرض، أو باعتباره الوحيد الذى يملك مفاتيح الشريعة، ويملك أن يقول هذا حرام وهذا حلال!.

فى ذلك الوقت كان الفرق بين تعاليم موسى عليه السلام كما جاءت فى التوراة وتصرفات اليهود وسلوكهم، كالفرق بين السماء والأرض.

شعر كهنة اليهود بالمأساة الشخصية التى جاءتهم مع ميلاد هذا الطفل، الذى يعنى مجرد مجيئه إعادة الناس إلى عبادة الله وحده، كما يعنى إعدام الديانة اليهودية التى يدعون أنهم يمثلونها وهم فى الواقع يسلبون الناس أموالهم باسمها.

وكتم كهنة اليهود قصة ميلاد عيسى عليه السلام وكلامه فى المهد، واتهموا مريم ببهتان عظيم.

والتقت مصلحة كهنة اليهود مع مصلحة الطاغية الرومانى الذى كان يحكم الناس فى فلسطين بالحديد والنار، وكان لا يؤمن بالله.

فما أن سمع بقصة الطفل الذى ولد بغير أب وتكلم فى المهد معلناً أنه نبى الله، حتى شعر بالفزع، وبقرب وقوع زلزال يزلزل عرشه، فراح يخطط مع مستشاريه للتخلص من هذا الطفل.

ومضت الأيام، وسنة وراء سنة، أصبح الطفل صبياً، وأوحى الله إلى أمه أن تهرب به إلى مصر، وبالفعل رحلت مريم عليها السلام وابنها عيسى عليه السلام إلى مصر، ولم ترجع إلى الأرض المقدسة فلسطين إلا بعد أن مات الحاكم الرومانى (هيرودس).

شب عيسى عليه السلام فى بيت المقدس، وآتاه الله العلم والحكمة، وراح يجوب طرقاتها ويجتمع بالناس، ليهديهم إلى الله وإلى طريق الحق، الذى كانوا قد ابتعدوا عنه، وتحمل فى سبيل ذلك أذى كثيراً على أيدى اليهود، الذين كذبوه واتهموه بالضلال..

لكنه واصل المسيرة، صابراً على البلاء، شاكراً الله، الذى أمده بالآيات وزوده بالمعجزات، وجعله يحيى الموتى بإذنه، ويعيد البصر للأعمى بإذنه، ويشفى الأبرص بإذنه، ويخلق من الطين كهيئة الطير، وينفخ فيه فيكون طيراً بإذنه سبحانه وتعالى.

... وكل هذا لم يجعل اليهود يؤمنوا به كرسول من عند الله أتاهم ليهديهم إلى سبيل الحق والرشاد الذى بعدوا عنه.. اتهموه بالسحر.. بأنه ساحر.

وزاد تآمرهم عليه وسعيهم الحثيث من أجل قتله.

ولكن الله كان دائماً إلى جانبه ينجيه، ولم يمكنهم منه.

واستمر عيسى عليه السلام يدعو الناس إلى الله، ويطوف بدعوته في كل قرى فلسطين، ومعه الحواريون (وهم الذين آمنوا بدعوته أصدق الإيمان).

كان الحواريون معه، يحزنون لحزنه، ويفرحون لفرحه، ويتحملون معه الأذى، ويعانون مثله من الجوع والعطش. إلى أن كان ذات يوم، وكان عيسى عليه السلام مع حوارييه في إحدى جولاته التي يدعو فيها إلى الله، وكانوا صائمين، ويمشون في صحراء مقفرة. فسألوا عيسى عليه السلام: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ﴾ {سورة المائدة: 112}.

فقال لهم متعجباً:

﴿اتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ {سورة المائدة: 112}، ولا تطلبوا مثل هذا وإلا تكون فتنة لكم.. ألم يكفكم ما أجراه الله على يدي من معجزات؟!.

فقالوا له: نحن نؤمن بك وأشهد بأننا مسلمون، ولكننا نريدها لنأكل منها، فتطمئن قلوبنا، ويزداد يقيننا.

فدعا عيسى عليه السلام ربه قائلاً: ﴿اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ {سورة مريم: 114}.

واستجاب الله لدعاء نبيه، وأنزل عليهم مائدة فيها خير وفير وطعام لذيذ! فأكلوا وشربوا وشكروا الله كثيراً..

وعلم الناس بهذه المعجزة، فآمن بعيسى عليه السلام وبرسالته عدد كبير منهم.. كما ازداد إيمان الحواريين بقدرة الله سبحانه وتعالى.

ولما كثر أتباع عيسى عليه السلام زادت خشية اليهود على سلطانهم، وزادت خشية كهنتهم على سلطتهم الدينية، فازداد تآمرهم وتدبيرهم من أجل الخلاص منه ومن دعوته.. وهمسوا في أذن الحاكم الروماني الذي يحكم البلاد، بأن وجود عيسى عليه السلام وبقائه حياً فيه زوال لحكمة وتقويض لسلطانه.

فأصدر أوامره بالبحث عنه وإلقاء القبض عليه من أجل محاكمته.

من ناحية أخرى كان اليهود، قد وظفوا سلاح المال والرشوة لإغراء الناس بالبحث عنه والإبلاغ عن مكان وجوده.

وجاءهم (يهوذا) ليقبض المال ويدلهم على مكانه! وفرح اليهود وذهبوا إلى الحاكم ليبعث معهم جنوده ليقبضوا على عيسى عليه السلام.

ووصلا إلى مكانة، ودخلوا عليه، ولكن الله أعمى بصائرهم، فلم يروه وهو أمامهم.. ثم رآه (يهوذا) وهو يصعد إلى السماء، فراح يصرخ مشيراً إليه..

في تلك اللحظة ألقى الله شبه عيسى عليه السلام على يهوذا.. فظنه الجنود عيسى عليه السلام فأمسكوا به، وأخذوه وصلبوه. في حين كان عيسى عليه السلام قد صعد إلى السماء، وسلم من أذاهم!

قال تعالى: (وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ❋ بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا) {سورة النساء: 157 - 158}

المراجع

- القرآن الكريم.
- حديث رسول الله ﷺ في صحيح البخارى.
- السيرة النبوية لابن هشام.
- قصص الأنبياء لابن كثير.
- قصص القرآن (جاد المولى وآخرون).
- أنبياء الله.. (أحمد بهجت).
- فى رحاب الأنبياء والرسل.. (عبد الحليم محمود).

فهرس

القصة	رقم الصفحة
• آدم عليه السلام .	4
• إدريس عليه السلام	9
• نوح عليه السلام	11
• هود عليه السلام .	16
• صالح عليه السلام .	19
• إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام.	23
• لوط عليه السلام .	36
• شعيب عليه السلام .	39
• إسحق ويعقوب عليهما السلام.	43
• يوسف عليه السلام .	46
• أيوب عليه السلام .	55
• يونس عليه السلام .	61
• موسى عليه السلام .	66
• داوود عليه السلام .	78
• سليمان عليه السلام .	86
• زكريا ويحيى عليهما السلام.	97
• عيسى عليه السلام .	104
الفهرس	112

أحكى لطفلك قصص الأنبياء

لا يعد عالم الطفل نسخة مصغرة من عالم الكبار، ولا عالما ملئ بالألغاز بل هو عالم له خصوصياته المبنية على مفاتيح بسيطة من أمتلكها فهم سلوكه وخلفياته على حقيقتها، وتبين له أسباب ذلك السلوك.

ولا شك فى أن الحكاية من الوسائل التى تساهم فى بناء شخصية الطفل، ومن هنا كان إهتمامنا بالحكى لأطفالنا.

ومما لاشك فيه أن قصص الأنبياء من أفضل القصص التى ترقى بسلوك أطفالنا، فهى تبين لهم كيف صبر أنبياء الله على الحق؛ صبروا برغم ما نالهم من أذى من قومهم بتكذيبهم تارة، والسخرية منهم تارة أخرى، حتى أرسل الله على الكافرين عذابه وكانت العاقبة للمتقين.

أحكى لطفلك قصص الأنبياء هو رحلة لتنمية تفكير طفلك وإنارة قلبه بأنوار حكمة النبيين والمرسلين لإعلاء كلمة رب العالمين، فينشأ طفلك على الفطرة ويسير إلى قلبه أنوار الحكمة.

آدم عليه السلام
إدريس عليه السلام
نوح عليه السلام
هود عليه السلام
صالح عليه السلام
إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام.
لوط عليه السلام
شعيب عليه السلام
إسحق ويعقوب عليهما السلام.
يوسف عليه السلام
أيوب عليه السلام
يونس عليه السلام
موسى عليه السلام
داوود عليه السلام
سليمان عليه السلام
زكريا ويحيى عليهما السلام
عيسى عليه السلام

Bibliotheca Alexandrina
0655466

دار الحسام للنشر والتوزيع
w.w.w.daralhoussam.com
355ميدان النافورة المقطم القاهرة 25075418